www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المجلد الثلاثون

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوًى ومنارا كمنار الطريق

٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٨ هـ ٩ برج القوس سنة ١٣٠٩ هـ ش ١ ديسمبر سنة ١٩٢٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستفتاء في حقيقة الربا

(لبعض كبار علماء الهند)

تابع مانشر في الجزء الرابع

لبعض الاعلام ههنا كلام فلابد علينا ان نذكره مع ماله وما عليه . وهو أن القرض ليس غير البيع ومباينا له بل داخل فيه، لان القرض مبادلة انتهاء كما صرح به بعض الفقهاء فهو قسم من اقسام البيع لاغير ،وانما جوز فيه النسأ مع كونه من الاموال الربوية للضرورة ودفع حاجة الفقراء وهذا لا يخرجه عن البيع قال القاضي ابن رشد الحفيد المالكي : فان العقود تنقسم اولا بقسمين قسم يكون معاوضة وقسم يكون بغير معاوضة كالهبات والصدقات والذي يكون بمعاوضه ينقسم ثلاثة اقسام (احدها) يختص بقصد المغابنة وهي البيوع والاجارات والمهور والصلح والمال المضمون بالعقد وغيره (والقسم الثاني) لا يختص بقصد المغابنة وانما يكون على جهة الرفق وهو القرض [١] (والقسم الثالث) فهو مايصلح ان يقع على الوجهين جميعاً اعني قصد المغابنة وعلى قصد الرفق كالشركة والاقالة والتولية[٢] قال الشاه ولي الله في حجة الله البالغة في ذيل البيوع المنهي عنها: وكذلك الربا وهو القرض[٣] على ان يؤدي اليه أكثر وأفضل مما أخذ سحت[٤] باطل فان عامة[٥] المقترضين بهذا النوع هم المفاليس

(١) لما جعل القاضي القرض قسما للبيع فهو دليل على أن القرض عنده غير البيع فلا يصح به الاستشهاد على كون القرض بيعاً لكن أوردناه ههنا لانه صرح بأن المعاوضة تكون في القرض أيضاً ويمكن أن يتوهم منه ان كل عقد تكون فيه المعاوضة هو قسم من أقسام البيع

(٢) (بداية المجتهد ص ١٢١ ج ٢) * (٣) هذا حد للربا غير مأثور عن السلف ولا دليل عليه بل هو خلاف القرآن والسنة الصحيحة وجمهور العلماء * (٤) لا بد أن يقوم عليه دليل من الشارع عليه السلام والاداء أكثر وأفضل مما أخذ ثبت عن النبي ﷺ بطرق صحيحة مطلقا * (٥) لايكفي أمثال هذه التدقيقات الفلسفية لاثبات حكم شرعي بل لا بد أن يكون عليه نص عن الشارع عليه السلام*

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المضطرون وكثيرا ما لايجدون الوفاء عند الاجل فيصير أضعافا مضاعفة لايمكن التخلص منه ابداً ،وهو مظنة لمناقشات عظيمة، وخصومات مستطيرة، واذا جرى الرسم باستنماء المال بهذا الوجه أفضى الى ترك الزراعات والصناعات التي هي أصول المكاسب ولا شيء في العقود أشد تدقيقاً واعتناءً بالقليل وخصومة من الربا، وهذان الكسبان [أي الميسر والربا] بمنزلة السكر مناقضان لأصل ماشرع الله لعباده من المكاسب وفيهما قبح وشناعة ، والامر في مثل ذلك الى الشارع إما أن يضرب له حداً يرخص فيما دونه ويغلظ النهي عما فوقه ، أو يصدعنها رأساً، وكان الميسر والربا (١) شائعين في العرب وكان قد حدث بسببهما مناقشات عظيمة لا انتهاء لها ومحاربات،وكان قليلها يدعو إلى كثيرها ، فلم يكن أصوب ولاأحق من أن يراعى حكم القبح والفساد موفراً فنهى عنهما بالكلية[واعلم] أن الربا على وجهين حقيقي (٢) ومحمول عليه أما الحقيقي فهو في الديون (٣) وقد ذكرنا أن فيه قلباً لموضوع المعاملات وأن الناس كانوا منهمكين فيه في الجاهلية أشد انهماك وكان حدث (٤) لأجله محاربات مستطيرة وكان قليله يدعو إلى

---

(١) لاشك ان الربا كان شائعاً في العرب لكن الكلام في تعيينه ولم يظهر عن الآثار المنقولة عن التابعين إلا انه كان في البيع أو الدين ولا أثر عن أحد منهم انه كان في القرض والفرق بين البيع والقرض والدين سيأتي ان شاء الله * (٢) والعجب ان مايدعى انه ربا حقيقي فلا ذكر له على لسان الشرع وأما المحمول عليه والمشبه به فهو مروي عن جماعة من الصحابة وكذلك الفقهاء لايذكرون الربا الحقيقي إلا تبعاً واستطراداً ويأتون جميع الفروع والتفاصيل في باب الربا الغير الحقيقي *

٣) لا انكار من أن ربا الجاهلية كان في الديون كما يدل عليه بعض روايات التابعين لكن المراد من الديون في كلامهم ديون البيع أي اذا ابتاعوا نسيئة فما ثبت في ذمتهم من الثمن المؤجل هو الدين كما جاء مصرحا في بعض الروايات وكما صرح بها الامام الشافعي والبيهقي والزرجاني حيث حملوا الدين المطلق على ديون البيع كما سيأتي مفصلا انشاء الله * (٤) لم نر له أثراً في أيام العرب ووقائعهم لا في الجاهلية ولا في الاسلام ووقائع هذه الأيام لاتعرض علينا لان أعظم أسباب الخلاف والمناقشة هو نظام السياسة الحالية ولذا ترى أن كثرة الوقائع والمقدمات لاتختلف بهذا الباب *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كثيره فوجب أن يسد بابه بالكلية ولذلك نزل في القرآن في شأنه ما نزل (والثاني) ربا الفضل والأصل فيه الحديث المستفيض «الذهب» ـ الحديث ـ هو [أي ربا الفضل] مسمى بربا تغليظاً وتشبيهاً[1] له بالربا الحقيقي على حد قوله عليه السلام [المنجم كاهن] وبه يفهم معنى قوله ﷺ «لا ربا إلا في النسيئة»[2] ثم كثر في الشرع استعمال الربا في هذا المعنى حتى صار حقيقة شرعية فيه أيضا[3] والله اعلم انتهى[4]

وكذا قال العلامة الامام ابن الهمام الحنفي بعد ما فسر الربا بقوله هو من البيوع[5] المنهي عنها قطعا قال ـ بقوله تعالى [يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا] أي الزائد[6] في القرض[7] والسلف على القدر المدفوع والزائد في بيع الاموال الربوية عند بيع بعضها بجنسه وسنذكر تفصيلهما ويقال لنفس الزيادة اعني بالمعنى المصدري ومنه [أحل الله البيع وحرم الربا] أي حرم ان يزاد في القرض والسلف على القدر المدفوع، وان يزاد في بيع تلك الاموال بجنسها قدراً ليس مثله في الآخر[8] ـ وذلك الكلام أتى في كتاب الصرف بحديث عمر «الذهب بالورق ربا الا هاء وهاء» ثم قال ـ وقيل معنى قوله ربا اي حرام باطلاق اسم الملزوم على اللازم

---

(١) قال ذلك تبعاً لابن القيم من أن الربا الثابت بالحديث ربا غير حقيقي وهذا ليس بصحيح لان جمهور العلماء قالوا باجمال الآية وبكون الحديث مفسراً للآية فهذا يكون رباً حقيقياً لانه ليس في القرآن ربا سوى ما ثبت كونه ربا بالسنة فلا نجترىء على أن نقول إن ما ثبت كونه رباً من القرآن والحديث هو ربا غير حقيقي والذي لم يرد فيه حديث ولا أثر خاص عن العلة يكون ربا حقيقياً *

٢) لعله أراد بها القرض وليس بصحيح لان النسيئة في اللغة هي الثمن المؤجل لا كل ما يكون في الذمة من الدين أو القرض * (٣) لفظ أيضاً ليس على محله لان في الشريعة ليس ربا إلا ما ثبت كونه رباً من الحديث * (٤) ص ٩٩ ج ـ ٢

٥) هو موافق لما عليه الجمهور من أن الربا داخل في البيع *

٦) هذا خلاف ما قال أولا من أن الربا بيع وأيضاً هو صرح بنفسه في التحرير أن الآية مجملة والحديث يفسرها فكيف يصح منه هذا القول ؟ *

٧) وكذا فسر الآية الشيخ ثناء الله في تفسيره تبعاً له *

٨) فتح القدير باب الربا *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا مانع من حمله في حقيقته شرعا وان اسم الربا تضمن الزيادة من الاموال الخاصة في أحد العوضين في قرض أو بيع اه الظاهر من مجموع كلامه ان الزيادة في القرض ربا والربا من البيوع المنهي عنها فيفهم منه أن القرض من البيوع

وفي الملتقى : الربا هو فضل مال خال عن عوض شرط لاحد العاقدين في معاوضة مال بمال ـ وذكر العلامة الشيخ زاده في شرح العاقدين :أي البائعين أو المقترضين [١] فعلى هذا يكون الربا في القرض ايضاً فيكون بيعاً . وكذلك الفقهاء بأجمعهم يذكرون الربا في كتاب البيوع والربا في القرض أيضاً فيكون القرض بيعاً قال العلامة العيني في شرح البخاري واختلف في عقد الربا هل هو منسوخ لايجوز بحال أو هو بيع [٢] فاسد اذا ازيل فساده صح بيعه؟ فجمهور العلماء على على أنه بيع منسوخ وقال أبو حنيفة هو بيع [٣] فاسد اذا ازيل فساده انقلب صحيحاً [٤] قال شيخ الاسلام المرغيناني في باب البيوع الفاسدة من فتاوى التجنيس والمزيد : رجل طلب من آخر قرض عشرة دراهم بأكثر لايجوز لان فيه ربا اه [٥] يمكن أن يتوهم من هذه العبارات ان القرض بيع لان القرض فيه الربا ولا ربا في غير البيع

والجواب عنه اولا تصريح العلماء والفقهاء بان القرض غير البيع قال الشيخ ولي الله عليه رحمة الله في شرح المؤطأ الفارسية : معنى قرض تمليك شيء است بآن شرط كه رد كند بدل او وآن بيع نيست لمكه عقد يست كه ابتداء معنى تبرع دارد واخرا معنى مبادلة [٦] قال ابن الهمام ان القرض تبرع لانه صلة في الابتداء واعارة حتى يصح القرض بلفظ اعرتك اه (فتح القدير) قال الشاه ولي الله

١) زاد بعضهم في تفسير العاقدين تحت حد الربا لفظ المقرضين لكن هذه الزيادة خلاف ماعليه المحققون ولا دليل عليها ويأباها قولهم في معاوضة مال بمال *

٢) لايصح به الاستشهاد بل هو دليل على ان الربا بيع ويؤيده صنيع العلماء أعني ذكر الربا بأحكامه في البيوع لا في القرض * (٣) هذا يدل على ان أبا حنيفة رضي الله عنه ذهب الى ان الربا بيع * (٤) « كتاب البيوع ص٤٣٥ ج ٥ »

٥) ليس فيه انه ربا منصوص فيمكن انه أراد به ربا قياسياً لان الفقهاء لايذكرون الاحكام الثابتة عن القياس مفصولة عن الاحكام الثابتة بنص القرآن أو بنص الحديث *

٦) مسوى « ص٣٥٧ ج ٢ »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رحمة الله عليه : مبنى القرض على التبرع من اول الامر وفيه معنى الاعارة [١]

قال ملك العلماء في البدائع : لان القرض للحال تبرع الا ترى انه لا يقابله عوض للحال ؟ فكان تبرعا فلا يجوز الا ممن يجوز منه التبرع ، وكذا قال في مبحث تأجيل القرض : لان القرض تبرع الا ترى أنه لا يقابله عوض للحال وانه لا يملكه من لا يملك التبرع ؟ وقال الحداد في شرح القدوري في هذا المبحث : لانه (القرض) اصطناع معروف وفي جواز تأجيله جبر على اصطناع المعروف ، وقال الحداد في البيوع : والبيع في اللغة مبادلة مال بمال آخر وكذا في الشرع لكن زيد فيه قيد التراضي لما في التغالب من الفساد (والله لا يحب الفساد) ويقال هو في الشرع عبارة عن ايجاب وقبول في مالين ليس فيهما معنى التبرع. وهذا قول العراقيين كالشيخ (أي أبي الحسن القدوري) وأصحابه ، وقيل هو عبارة عن مبادلة مال بمال لا على وجه التبرع وهو قول الخراسانيين كصاحب الهداية واصحابه . اه ـ

فالقرض على رأي الجمهور عقد تبرع كما مر بخلاف البيع فانه ليس فيه تبرع على كلا الحدين ، فغير التبرع لا يكون تبرعا بل هما متباينان وأحكامهما مختلفة فالقرض معروف وصدقة وتبرع وعبادة ، والبيع ليس كذلك ؛ والقرض عارية في الابتداء والبيع ليس بعارية لا في الابتداء ولا في الانتهاء ، فالقرض شبيه بالعارية من حيث الابتداء وشبيه بالبيع من حيث الانتهاء . ووجه الشبه المبادلة لكن تكون في البيع ابتداءً وانتهاءً وفي القرض حين الاداء وبه لا تخرج عنه كونها تبرعاً قال السرخسي في شرح السير الكبير [٢] هو كلام يحتمل القرض ويحتمل الصدقة فكل واحد منهما تبرع والقرض اقل التبرعين لانه يوجب البدل . اه ففيه تصريح ان البدل لم يخرج القرض عن كونه تبرعا .

والحق أن المبادلة في البيع ركن وفي القرض ليست بركن نعم تستلزمه وفرق ما بين الالتزام واللزوم لان مقصود المشتري هو المبيع ومقصود البائع هو الثمن وغرض كل منهما اخراج ما في ملكه وتحصيل عوضه والاحكام تترتب على الالتزام لا على اللزوم قال ملك العلماء ان البيع مبادلة شيء مرغوب فيه بشيء مرغوب فيه [٣] وقال في (كتاب البيوع)

(١) حجة الله (ص١٠٥ ج٢) * (٢) (ص٢٦٨ ج٤) (٣) بدائع كتاب الاشربة ص١١٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اما ركن البيع فهو مبادلة شيء مرغوب بشيء مرغوب وذلك قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل اه وظاهر ان القرض ليس فيه مبادلة شيء بشيء مرغوب فيه بل الغرض الاصلي الذي وضع له القرض هو انجاح حاجة المحتاج إليه ولذا قال الشيخ ولي الله رحمه الله ان القرض تمليك الشيء ليسترد [1] مثله وهو ليس ببيع بل هو عقد في أوله تبرع وفي آخره مبادلة [2] قال ابن عابدين (رح) ههنا أصلان (أحدهما) ان كل ما كان مبادلة مال بمال يفسد بالشرط الفاسد كالبيع ومالا فلا [3] كالقرض [4] وأيضاً قال العلامة المذكور في نشر العرف في دليل محمد (رح) لان القرض اسرع جوازا من البيع لانه مبادلة صورة وتبرع حكما [5] فهذا تصريح منه ان القرض ولو كان مبادلة صورة لكن ليس له حكم المبادلة شرعاً قال القاضي سناء الله في تفسيره لان الشرع اعتبره عارية كأن المؤدى عين المدفوع - ولعله باعتبار مقاصد العاقدين لان الاعتبار في العقود للاغراض والمعاني لا للصورة ومن ذهب الى انه مبادلة انتهاء فهو صرح أيضاً أنه تبرع في الابتداء والبيع ما يكون مبادلة في الابتداء كما هو مبادلة في الانتهاء قال شيخ الاسلام (رح) إنه اعارة وصلة في الابتداء حتى يصح بلفظ الاعارة ولا يملكه من لا يملك التبرع كالوصي والصبي، ومعاوضة في الانتهاء، وكذا قال الحداد في شرح القدوري والقرض ليس هو بمبادلة في الابتداء - اه فعلى هذا لا يكون بيعاً لان الفقهاء صرحوا أن البيع مبادلة ابتداء كما هو مبادلة انتهاء واذا فات عن أحد الطرفين كونه مبادلة يفوت كونه بيعا قال ملك العلماء في البدائع في دليل قول الامام إن ولي الصغيرة لا يملك الهبة بالعوض بدليل أن الملك فيها يقف على القبض وذلك من أحكام الهبة وانما تصير معاوضة في الانتهاء وهو لا يملك الهبة فلم تنعقد هبة فلا يتصور أن تصير معاوضة

---

(١) فيه دلالة على ان المبادلة ليست فيه * (٢) معربا عن المسوى شرح الموطأ الفارسية ص ٣٥٧ ج ٢ * (٣) فيه دلالة على ان القرض ليس فيه مبادلة والا لزم فساده بالشرط الفاسد مع انه لا يفسد بالشرط الفاسد بل يلغو الشرط ويبطل *

(٤) رد المحتار باب ما يبطل بالشروط الفاسدة ولا يصح تعليقه *

(٥) ص ١٢٢ حكم الشارع عليه السلام على كونه تبرعا ولم يحكم بأنه مبادلة ولم يعتبرها *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بخلاف البيع لانه معاوضة ابتداء وانتهاء وهو يملك المعاوضة (١) اعلم أن ملك العلماء اخرج الهبة بالعوض عن البيع بدليل أنها ليست بمعاوضة في الابتداء فبعين هذا الدليل يخرج القرض أيضاً من البيع لانه ليس بمعاوضة في الابتداء بالاتفاق كما مر عن العلامة الشامي أن القرض وإن كانت صورته صورة المبادلة لكن هو في حكم التبرع شرعاً قال العيني في شرح الهداية والمعول على النكتة الاولى (٢) لا على النكتة الثانية (٣) لان على النكتة الثانية يلزم أن لا يصح القرض اصلا اه قال صاحب العناية وهذا يقتضي فساد القرض لكن ندب الشرع إليه وأجمعت الامة على جوازه فاعتمدنا على الابتداء (٤) وقلنا بجوازه بلا لزوم (باب المرابحة والتولية)

والحق في هذا الباب ما نقل القهستاني عن النهاية وغيره لانه موافق للدراية وهو أن القرض ليس فيه مبادلة اصلا لا في الابتداء ولا في الانتهاء بل في كليهما عارية . لفظه : الا أن التعويل على انه عارية ابتداء أو انتهاء (٥) قال الشلبي إن بدل القرض في الحكم كأنه عين (٦) المقبوض إذ لو لم يجعل كذلك كان مبادلة الشيء بجنسه نسيئة وهو حرام واذا كان كذلك يكون عارية ابتداء وانتهاء (٧) ويحصل من هذه أن الأصل في البيع أن يكون غرض العاقدين التزام المبادلة ولا يكون القصد والغرض من طرف إلا المبادلة وأما العقود التي لا يكون غرض المتعاقدين فيها التزام المبادلة بل يلزمها المبادلة فهي ليست ببيع كما في القرض لان فيه ليس غرض المقرض ليتبادل دراهمه بدراهم المستقرض ولا غرض المستقرض أن يأخذ دراهم المقرض ليتبادل دراهمه بدراهمه بل غرض الطرفين انجاح الحاجة فقط ولزوم المبادلة من غير قصد والتزام فلا يصير من هذا اللزوم

---

(١) (ص١٥٣ ج ٥) * (٢) هي العارية * (٣) هي المبادلة * (٤) أي العارية *
(٥) (جامع الرموز ص ٤٠٦ ج ٢) (٦) فلا يتصور الربا في القرض لان الربا هو الفضل والفضل والمساواة اضافة تقتضي الطرفين بحيث لا يمكن وجودها بدون الطرفين ولما كان في القرض رد المثل في حكم رد العين كما صرح به الفقهاء لا يتحقق في القرض الطرفان فلا يتحقق الفضل (٧) حاشية تبيين الحقائق شرح كنز قبيل باب الربا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بيعا كذا صرح ابن القيم في الاعلام لفظه : وأما القرض فمن قال إنه خلاف القياس فشبهته انه بيع ربوي بجنسه مع تأخر القبض وهذا غلط فان القرض من جنس التبرع بالمنافع كالعارية ولهذا سماه النبي ﷺ منيحة فقال « أو منيحة ذهب أو منيحة ورق » وهذا من باب الارفاق لا من باب المعاوضات فان باب المعاوضات أن يعطي كل منهما أصل المال على وجه لا يعود إليه وباب القرض من جنس العارية والمنيحة وافقار الظهر لما يعطى فيه من أصل المال لينتفع فيه أصل المال بما يستخلف منه ثم يعيده إليه بعينه ان أمكن وإلا فنظيره ومثله فتارة ينتفع بالمنافع كما في عارية العقار، وتارة بمنحه ماشية ليشرب لبنها ثم يعيدها أو شجرة ليأكل ثمرها ويسمى عرية فانهم يقولون اعاره الشجر وأعاره المتاع ومنحه الشاة وافقره الظهر وأقرضه الدراهم واللبن والتمر ولما كان يستخلف شيئاً بعد شيء كان بمنزلة المنافع ولهذا كان في الوقف يجري مجرى المنافع وليس هذا من باب البيع في شيء بل هو من باب الارفاق والتبرع والصدقة، وإن كان القرض قد ينتفع أيضاً بالقرض كما في مسئلة السفتجة ولهذا كرهها من كرهها والصحيح انها لا تكره لان المنفعة لا تخص [1] القرض بل ينتفعان بها جميعاً [2] فالعلامة ابن القيم صرح فيه باشياء (الاول) من شبه القرض بالبيع فقد غلط فاذا كان تشبيهه بالبيع غير صحيح فكونه بيعاً أولى أن يكون غير صحيح (والثاني) أنه تبرع (والثالث) أنه ليس من باب المعاوضات (والرابع) أن المعاوضة أصلها أن يعطي شيئاً على وجه لا يعود إليه والقرض ليس على هذا الوجه، فظهر بهذا تسامح ابن رشد حيث عد القرض من باب المعاوضات *

وثانياً بان جمهور [3] الفقهاء يستدلون على حرمة منافع القرض بحديث سوار

---

(١) يوهم ظاهره ان المنفعة لو تخص القرض لا تجوز ففيه انها كما تجوز فيما لم يخص القرض كذا تجوز اذا خصت بالقرض ومن فرق فلا بد عليه من فارق*

(٢) « ص ١٤٥ ج ٤ » * (٣) وكذا العلامة البغوي والمفسر الصوفي الشهير بالخازن قد أخرجا حكم نفع القرض عن ربا البيع وأثبتا له حكما من دليل لكنه غير دليل ربا البيع فتفريق الدليلين يدل على ان القرض عندهما أيضاً ليس ببيع *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المتروك (كل قرض جر منفعة فهو ربا) فلو كان القرض بيعاً لم يحتاجوا الى هذا الدليل الضعيف بل الطريق الواضح والحجة المستقيمة أن القرض بيع والزيادة في بيع الاموال الربوية ربا فاستدلا لهم بهذا الحديث الضعيف وعدولهم عن الصراط السوي دليل على أن القرض ليس ببيع ولو كان بيعاً عندهم ما تركوا هذا الدليل القوي والحجة المستقيمة وأيضاً يعلم من استدلالهم بهذا الحديث الضعيف انه ليس في هذا الباب حديث صحيح يحتج به وهو أحسن وأقوى من هذا كما مر بيانه

وثالثاً بأن العلامة الكاساني قد استدل على حرمة المنافع بدليلين الاول حديث سوار المتروك والثاني ان لهذا شبه بالربا حيث قال ـ واما الذي يرجع إلى نفس القرض فهو ان لايكون فيه جر منفعة فان كان لم يجز لما روي عن النبي ﷺ انه نهى عن قرض جر نفعاً ولان الزيادة المشروطة تشبه الربا لانه فضل لايقابله عوض والتحرز عن حقيقة الربا وعن شبهة الربا واجب [1] فان كان القرض بيعا فكان الفضل (أي نفعه) ربا حقيقة لاشبيها له *

وقد سلم بعض الاعلام لما شافهتهم في هذه المسئلة ان القرض المطلق ليس ببيع لكن اذا زيد فيه شرط النفع يصير بيعاً لانه حينئذ يفوت فيه كونه تبرعاً وصدقة فاذا يكون بيعاً واذا صار بيعاً يجري فيه جميع احكام بيع الاموال الربوية فيكون الفضل أيضاً ربا، أما قولنا: فاذا يكون بيعاً فلان القرض معاوضة حقيقة لكن لكونه تبرعاً في الابتداء خرج عن حكم المعاوضات فاذا اشترط فيه النفع من أول الامر فلم يبق اذاً التبرع فيعود إلى حقيقته فيصير بيعاً لانه يصدق عليه اذاً أنه معاوضة ابتداءاً وانتهاءاً *

وفيه (أولا) انا لانسلم أن يصدق عليه انه معاوضة ابتداء وانتهاء لانه لاعوض له في الحال كما مر عن ملك العلماء وقد اخرج ملك العلماء الهبة بالعوض عن البيع بدليل انها ليست بمعاوضة في الابتداء وإن كانت معاوضة في الانتهاء فهذا الدليل يجري ههنا أيضاً ويخرج القرض عن البيع بعين هذا الدليل قال: بدليل أن الملك فيها يقف على القبض وذلك من أحكام الهبة وانما تصير معاوضة في الانتهاء

(١) بدائع الصنائع «ص٣٩٥ ج٧»*

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو لا يملك الهبة فلم تنعقد فلا يتصور أن تصير معاوضة بخلاف البيع (١)

(وثانياً) أن ملك العطاء قد ذكر : اما ركن البيع فهو مبادلة شيء مرغوب بشيء مرغوب اه وفي القرض الطلب والرغبة عن (؟) الطرفين مفقودان البتة فلا يمكن أن يوجد البيع عند فوات ركنه على أن في القرض يعطي المقرض ولا يريد ألا يعود اليه ما أعطى بخلاف البيع لان كلا منهما يريد وينوي أن لا يعود إليه ما خرج عن يده *

(وثالثاً) أن القرض وإن اشترط فيه الزيادة فلا يصير بيعاً أيضاً لامور (الاول) أن هذا الشرط خلاف مقتضي العقد لان مبنى القرض على التبرع واذا اشترط فيه الزيادة فات عنه كونه تبرعاً ومن الاصول ان الشرط اذا كان خلاف مقتضى العقد يفسده ولكن القرض من العقود التي لا تفسد بالشروط الفاسدة بل الشرط يصير ملغى والعقد صحيحا فاذا بقي القرض على صحته لم يصر بيعاً قال الشاه ولي الله رحمة الله عليه : وجائز نيست اقراض بشرط زيادة يارد صحيح عوض مكسريا آنكه در شهر ديكر بدهد درين صورتها شرط لغو شود زيراكه عبد الله بن عمر بابطال شرط فرمود ند نه ببطلان عقد (٢) قل شيخ الاسلام في الهداية : لان الشرط الفاسد في معنى الربا وهو يعمل في المعاوضات دون التبرعات (كتاب الهبة) قال الامام السرخسي في المبسوط : لو قال أقرضني عشرة دراهم بدينار فأعطاه عشرة دراهم بدينار فعليه مثلها ولا ينظر الى غلاء الدراهم ورخصها ، وكذلك كل ما يكال ويوزن ، فالحاصل هو ان المقبوض على وجه القرض مضمون بالمثل وكلما كان من ذوات الامثال يجوز فيه الاستقراض ، والقرض لا يتعلق بالجائز من الشروط فالفاسد من الشروط لا يبطله ولكن يلغو شرط رد شيء آخر فعليه أن يرد مثل المقبوض (٣) فهذا تصريح منه ان الشروط الفاسدة لا تبطل القرض بل يكون القرض باقياً على أصله وتبقى قرضيته ولا تزول أي لا ينقلب بالشروط الفاسدة الى البيع. وقال في موضع آخر : ولو استأجر منه ألف درهم أو مائة بدرهم أو ثوب لم يجز قال لانه ليس بانائه ويريد ألا ينتفع به مع بقاء عينه ومثله لا يكون محلا للاجارة وانما يرد عقد الاجارة على ما ينتفع به مع

(١) بدائع ﴿ص ١٥٣ ج ٥﴾ * (٢) مسوى ص ٣٥٧ - * (٣) ﴿ص ٣٠ ج ٤﴾ *

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بقاء عينه ، وقد بينا ان الاعارة في الدراهم والدنانير لاتتحقق ويكون ذلك قرضاً فكذلك الاجارة[1] فاذا لم تنقلب إجارة الدراهم والدنانير بشرط النفع الى البيع فالقرض أولى بل لاينقلب اليه وإن اشترط فيه النفع *

(والامر الثاني) ان الفقهاء يصرحون ان النفع المشروط في القرض شبيه بالربا فلو يستحيل القرض بشرط النفع الى البيع لصار هذا النفع ربا حقيقة لا شبيهاً به*

(والامر الثالث) لو صار القرض بشرط النفع بيعاً لكان بيع الصرف ، وبيع الصرف اذا لم يكن فيه تقابض البدلين في المجلس أو يكون فيه شرط الزيادة يفسد ويتعين النقد في الصرف اذا فسد بيع الصرف فلا تكون هذه الدراهم والدنانير ملكا للمستقرض فلا يكون الربح والمنفعة الحاصلة منه طيبا مع ان الفقهاء صرحوا بأنه طيب. في العالمكيرية: من استقرض من آخر ألفا على أن يعطي المقرض كل شهر عشرة دراهم وقبض الالف وربح فيها طاب له الربح[2] *

(والامر الرابع) ان القرض اذا اشترط فيه النفع يكون مكروهاً عند الفقهاء قال محمد رحمة الله عليه في كتاب الصرف ان أبا حنيفة رضي الله عنه كان يكره كل قرض جر منفعة قال الكرخي هذا اذا كانت المنفعة مشروطة في العقد بأن أقرض غلة ليرد عليه صحاحا أو ما أشبه ذلك فان لم تكن المنفعة مشروطة في العقد فأعطاه المستقرض أجود مما عليه فلا بأس به (عالمكيري) ـ وأخرج الزيلعي عن عطاء: كانوا يكرهون كل قرض جر منفعة اه فلو ينقلب القرض من شرط النفع الى البيع لكان نفعه حراما لكونه ربا لامكروهاً لان المكروه غير الحرام ودليلاهما متغايران ، قال العيني : أجمع المسلمون على تحريم الربا وعلى انه من الكبائر[3] قال ابن الهمام وأحسن ماهنا عن الصحابة والسلف مارواه ابن أبي شيبة في مصنفه حدثنا خالد الاحمر عن حجاج عن عطاء قال كانوا يكرهون كل قرض جر منفعة[4] أي الصحابة يكرهون النفع المستحصل من القرض فهذا دليل على ان الصحابة أيضاً يفرقون بين النفع المستحصل من القرض وبين الربا حيث يجعلون الاول

(١) «ص٣٩ ج ٤» * (٢) «٢٧٤ ج ٣» * (٣) عمدة القاري «ص٤٣٤ ج ٥» *
(٤) فتح القدير كتاب الحوالة *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مكروهاً والثاني حراما * هذا ومن ادعى ان القرض مطلقاً بيع أو بشرط النفع فلا بد عليه من البيان ودعوى البداهة في موضع الخلاف غير مسموعة * وقد ﴿ظن بعضهم﴾ ان بيع خمس رباعي بست رباعي يكون ربا بالاتفاق لكن اذا أقرض خمس رباعي بشرط أن يرد عليه ست رباعي كيف لايكون هذا ربا مع انه لا فرق بينهما إلا في اللفظ ؟ ﴿ويزال﴾ بأنه لا مجال للقياس فيما ورد به النص لان الشارع عليه السلام[1] جعل الاول بيعاً وربا لا الثاني قال ابن قيم الجوزية وكذلك صورة القرض وبيع الدراهم بالدراهم الى أجل صورتهما واحدة وهذا قربة صحيحة وهذا معصية باطلة بالقصد[2] *

وكذا ﴿ماظن﴾ ان نفع القرض ربا حقيقة وداخل في نص القرآن وهو أمر بديهي لايحتاج الى البيان ﴿مدفوع﴾ بأنه لو كان أمراً بديهياً لايمكن أن يخفى على الائمة والفقهاء دخول هذا النفع في نص القرآن ولم يحتاجوا الى الاستدلال عليه بالحديث الضعيف تارة وبالقياس على ربا البيع تارة وبالقياس على ربا الجاهلية مرة وبالآثار حيناً. وكذلك مايختارون في حده ومسائله يعارض هذه الدعوى فهذا كله دليل على انه ليس بمندرج في نص القرآن عندهم ويؤيده أيضاً عدم ورود النقل عن واحد من الائمة بأن هذا النفع هو ربا منصوص *

وهذا المسلك أعني ان آية الربا مجملة هو ماعليه الائمة المجتهدون والفقهاء المحققون لكن في الآية مسلك آخر وهو ان الآية ليست بمجملة حتى تحتاج الى التفسير بل هي مفصلة واللام في الربا للعهد وأشير بها الى ماهو المتعارف عنده نزول القرآن بينهم أي ربا الجاهلية

وفي هذا المسلك (أولا) انه لم يتبين الى الآن بسند صحيح مرفوع ربا الجاهلية في أي شيء كان فهو مجهول ولعل هذا وجه عدول الائمة والمحققين عن هذا المسلك . نعم آثار التابعين تدل على تعيين ربا الجاهلية فبعضها يدل على انه كان في البيع كما روى الطبري عن

(١) مثاله كمن باع خمس رباعي بخمس رباعي نسيئة لايجوز بخلاف من اقرض خمس رباعي ليعيدها بعد أيام فالاول بيع وفيه ربا وهو حرام ومعصية والثاني ليس ببيع وليس فيه ربا بل هو قربة وصدقة * (٢) اعلام ج ص ٥٣ ج ٢ *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة[1] ان ربا أهل الجاهلية أن يبيع الرجل البيع الى أجل مسمى فاذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاد وأخر عنه فقال جل ثناؤه (الذين يأكلون) الخ قال السيوطي في الدر المنثور أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد[2] قال كانوا يتبايعون الى أجل فاذا حل الأجل زادوا عليهم وزادوا في الاجل فنزلت (يأيها الذين) الخ وفيه أيضاً أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن[3] الضحاك في قوله تعالى (اتقوا الله وذروا مابقي من الربا) قال كان رباً يتبايعون به في الجاهلية فلما أسلموا أمروا أن يأخذوا رءوس أموالهم اهقول ابن جرير سمعت الضحاك يقول في قوله (فنظرة الى ميسرة) هذا في شأن الربا وكان أهل الجاهلية بها يتبايعون فلما أسلم من أسلم منهم أمروا أن يأخذوا رءوس أموالهم. قال الامام الشافعي في تفسير أخذ رءوس الاموال إنه يكون فسخاً للبيع الذي وقع على الربا[4] وقال الزرقاني في شرح الموطأ وهو أيضاً يشبه حديث زيد بن أسلم[5] في بيع أهل الجاهلية انهم كانوا اذا حلت ديونهم قالوا للذي عليه الدين إما أن تقضي وإما أن تربي فان قضى أخذوا وإلا زادوهم في

---

(١) قال احمد قتادة أعلم بالتفسير وباختلاف العلماء وأحفظ اهل البصرة ووصفه بالحفظ والفقه وأطنب وقال قل من تجد أن تقدمه قال الثوري أو كان في الدنيا مثل قتادة قال الذهبي مع حفظ قتادة وعلمه كان رأساً في العربية واللغة وأيام العرب والنسب * (٢) الامام المكي المقري المفسر الحافظ لزم ابن عباس مدة وقرأ عليه القرآن وكان أحد أوعية العلم قال عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قال قتادة وخصيف: أعلمهم بالتفسير مجاهد وقال ابن جريج لان أكون أسمع من مجاهد أحب إلي من أهلي ومالي قال مجاهد ربما أخذ لي ابن عمر بالركاب * (٣) قال سفيان خذوا التفسير عن أربعة عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك * إتقان * قال الذهبي لولا تأخر موته لذكر مع وكيع ل مع ابن المبارك روى عنه البخاري وخلق ولجلالته وعقله يلقب بالنبيل قال ابن شبة والله مارأيت مثله * (٤) كتاب المعرفة للبيهقي باب الربا قلمي * (٥) الفقيه المدني كان له حلقة للعلم بمسجد النبي ﷺ *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقوقهم وزادوهم في الاجل ، وقال السيوطي في الدر المنثور عن سعيد [١] بن جبير يعني الذين نزل فيهم أنهم (قالوا إنما البيع مثل الربا) كان الرجل إذا حل ماله على صاحبه يقول المطلوب للطالب زدني في الاجل وأزيدك على مالك فاذا فعل ذلك قيل لهم هذا ربا قالوا سواء علينا إن زدنا في أول البيع او عند محل المال فهما سواء اه في قوله قالوا سواء علينا إن زدنا في أول البيع او عند محل المال دليل على ان المراد بالمال ههنا هو ثمن المبيع وإلا كان الجواب منهم: سواء علينا اشتراط الزيادة في أول العقد اوعند محل المال . في الفتح : ان ربا أهل الجاهلية يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمى فاذا حل الاجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاد وأخر عنه*

و (أما ماقال) الجصاص الرازي الحنفي : والربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة ما استقرض على ما يتراضون به ولم يكونوا [٢] يعرفون البيع بالنقد ومتفاضلا إذا كان من جنس واحد هذا ما كان المتعارف المشهور بينهم اه وقال أيضاً فأبطل الله تعالى الربا الذي كانوا يتعاملون به وأبطل ضروبا أخر [٣] من البياعات وسماها ربا اه وقال أيضاً انه معلوم ان ربا الجاهلية انما كان قرضاً مؤجلا بزيادة مشروطة اه وقال أيضاً فمن الربا ماهو بيع ومنه ماليس ببيع وهو ربا اهل الجاهلية وهو القرض المشروط فيه الأجل وزيادة مال على المستقرض [٤] (فلم يرد بها أثر) ولا دليل عليه بل في

---

(١) الفقيه الكوفي المقري احد الاعلام إذا حج اهل الكوفة وسألوه يقول أليس فيكم سعيد بن جبير؟ ويقال له جهبذ العلماء قال ميمون مات سعيد بن جبير وما على الارض الا وهو محتاج الى علمه قال قتادة كان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير *

(٢) هذه قرينة على أن المراد بالقرض ههنا هو الدين لا القرض الذي يوجد من غير بيع لان الدراهم المثمنة في بيع النسيئة دين على ذمة المشترين وليست بقرض وكذلك التأجيل قرينة على ذلك كما سيأتي

(٣) علم منه ان ههنا أنواعا باطلة من البيوع فكونه بيعا قرينة على ان المراد بالدراهم هي الدراهم المثمنة وبالقرض الدين

(٤) (أحكام القرآن ج ١ ص ٤٦٤ الى ٤٦٩)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قول هذا الامام مايخالفه وهو دليل على أن المراد بالقرض هو الثمن المؤجل

وخالفه المفسرون أيضا ـ صراحة ـ كما قال ابن العربي المالكي — اختلفوا هل هي عامة في كل تحريم ربا او مجملة لا بيان لها إلا من غيرها؟ والصحيح انها عامة لأنهم كانوا يتبايعون ويربون وكان الربا عندهم معروفا يبايع الرجل الرجل إلى أجل فاذا حل الاجل قال أتقضي أم تربي؟ يعني أم تزيدني على مالي عليك واصبر أجلا خر؟ اه ثم أتى بأدلة على هذا المدعى ثم قال ـ وتبين ان معنى الآية وأحل الله البيع المطلق الذي فيه العوض على صحة القصد والعمل وحرم منه ماوقع على وجه الباطل وقد كانت الجاهلية تفعله كما تقدم فتزيد زيادة لم يقابلها عوض وكانت تقول انما البيع مثل الربا أي انما الزيادة عند حلول الاجل آخراً مثل أصل الثمن في اول العقد فرد الله تعالى قولهم وحرم ماعتقدوه حلالا عليهم (أحكام القرآن)

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى (لا تأكلوا الربا) قال ابن عطية ولا أحفظ في ذلك شيئاً قلت قال مجاهد كانوا يبيعون البيع الى أجل فاذا حل الاجل زادوا في الثمن على أن يؤخروا فأنزل الله عز وجل (لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة) أحكام القرآن) و — دلالة — كما نقل عن حبر الأمة وسيد المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى (قالوا انما البيع مثل الربا) الزيادة في آخر البيع بعد ماحل الاجل كالزيادة في أول البيع اذا بعت بالنسيئة (وأحل الله البيع) الزيادة الاولى (وحرم الربا) الزيادة الاخيرة، قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني في درج الدرر (قالوا انما البيع مثل الربا) قاسوا ان الزيادة في آخر العقد كهي في أول العقد، قال الواحدي في تفسيره الوجيز (انما البيع) وهو ان المشركين قاسوا ان الزيادة على رأس المال بعد محل الدين كالزيادة في الربح

وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى (لا تأكلوا الربا) قال المفسرون هو انهم كانوا يزيدون على المال ويؤخرون الاجل كلما أخر عن أجل الى غيره زيد زيادة قال مجاهد يعني ربا الجاهلية[1] وقال في تفسير (انما البيع) وذلك ان المشركين

(١) (حاوي مجمع المعاني قلمي ص ١٥٩)

قاسوا الزيادة على رأس المال بعد محل الدين كالزيادة في الربح في أول البيع اهـ

وفي فتح البيان: أي انما البيع بلا زيادة عند حلول الأجل كالبيع بزيادة عند حلوله فان العرب لاتعرف ربا إلا ذلك [1] وفي نيل المرام: ومعنى الآية أن الله أحل البيع وحرم نوعا من أنواعه وهو البيع المشتمل على الربا اهـ قال العلامة الطحاوي في شرح معاني الآثار تحت تفسير حديث «انما الربا في النسيئة» إن ذلك الربا انما عنى به القرآن الذي كان أصله في النسيئة وذلك ان الرجل كان يكون له على صاحبه الدين فيقول له أجلني منه الى كذا وكذا درهماً أزيدكها في دينك اهـ فالعلامة الطحاوي يقول ان اللام في الربا الذي رواه أسامة في الحديث للعهد والمراد به ربا القرآن فعنده هذا الحديث لايحمل على العموم بل أخرج مخرج التفسير في تفسير ربا القرآن الذي كان أصله في النسيئة وقد عرفت ان السيئة لاتكون إلا في البيع وهو الثمن المؤجل فتعيين العلامة الطحاوي ربا الجاهلية بربا البيع موافق للتفسير الذي أثر عن ابن عباس في الربا انه زيادة في آخر البيع بعد ماحل الاجل اذا بيع نسيئة

* * *

وبعض الآثار تدل على ان ربا الجاهلية كان في دين مؤجل وحق الى أجل وجميع هذه الآثار متفق على انه كان في دين مؤجل والدين المؤجل ليس بقرض لغة قال الامام الرازي في تفسيره قال اهل اللغة القرض غير الدين لان القرض أن يقرض الانسان دراهم أو دنانير أو حباً اوتمراً وما أشبه ذلك ولا يجوز فيه الاجل والدين يجوز فيه الاجل اهـ ثم قال والقول الثاني انه (أي الدين) القرض هو ضعيف لما بينا ان القرض لايمكن فيه أن يشترط فيه الاجل والدين المذكور قد اشترط فيه الاجل وفي المغرب هو (القرض) مال يقطعه الرجل من امواله فيعطيه عيناً فأما الحق الذي يثبت له ديناً فليس بقرض. وفي الكليات لأبي البقاء والدين بالفتح عبارة عن مال حكمي يحدث في الذمة ببيع أو استهلاك أو غيرهما وايفاؤه واستيفاؤه لايكون إلا بطريق المقاصة عند أبي حنيفة والدين ماله أجل

(١) (ص ٤٣٦ ج - ١)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والقرض مالا أجل له اهـ ثم أورد ماقال صاحب المغرب وقال: وهو المعول عليه اهـ (تحت لفظ الدين) وقال وأما اطلاق لفظ الاداء والقضاء على الدين فليس لاتحاد معناهما بل باعتبار ان له شبهاً بتسليم العين وشبهاً بتسليم المثل اهـ (تحت لفظ الرد) فشرط الاجل مناف لحقيقة القرض فالقرض لايندرج في الدين المؤجل فلا يجوز ان يراد بالدين القرض اذا كان فيه أجل وأما ماذكر الراغب الاصفهاني وابن الاثير ووجيه الدين التهانوي انه يشمل القرض ففيه أولا انه خلاف التحقيق ومع هذا لايدل على ان الدين المؤجل أيضاً يشمل القرض

والحجة القوية على ان المراد في كلام الذين ذكروا في تفسير ربا الجاهلية لفظ الدين مطلقا هو الثمن المؤجل هي ان شراح قولهم قد فسروه به قال البيهقي: قال الشافعي وكان من ربا الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل الدين فيحل الدين فيقول له صاحب الدين أتقضي أم تربي؟ فان أخره زاد عليه وأخره ثم نقل في توضيحه ثانياً (قال الشافعي وأحمد) وهذا فيما رواه مالك بن أنس في الموطأ عن زيد بن أسلم انه قال كان ربا الجاهلية أن يكون للرجل على الرجل الحق الى أجل فاذا حل الحق قال له غريمه أتقضي أم تربي؟ فان قضاه أخذ وإلا زاده في حقه وأخر عنه في الاجل (قال الشافعي) فلما رد الناس الى رءوس أموالهم كان ذلك فسخاً للبيع الذي وقع على الربا[1]

ظهر من كلام الشافعي أمران: الاول ان ربا الجاهلية كان في البيع والثاني ان المراد برأس المال الذي ورد في القرآن هو الثمن الذي جعل في ابتداء البيع وكذا المراد من حق الى أجل هو الثمن المؤجل وكذا العلامة الزرقاني أتى برواية زيد بن أسلم في البيع حيث قال وهو أيضاً يشبه حديث زيد بن أسلم في بيع أهل الجاهلية: انهم كانوا اذا حلت ديونهم قالوا للذي عليه الدين إما أن تقضي وإما أن تربي فان قضى أخذوا وإلا زادوهم في حقوقهم وزادوهم في الاجل اهـ

وأما ﴿ ماقال الامام الرازي ﴾ وتبعه النيسابوري: أما ربا النسيئة فهو الامر الذي كان مشهوراً متعارفا في الجاهلية وذلك انهم كانوا يدفعون المال على أن

(١) كتاب المعرفة باب الربا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يأخذوا كل شهر قدراً معيناً ويكون رأس المال باقياً ثم اذا حل الدين طالبوا المديون برأس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل فهذا هو الربا الذي يتعاملون به اه — فلا ثبوت له من النقل وهو أيضاً خلاف ماصرح به نفسه من ان الآية مجملة والدين غير القرض — هذا

فان سئل عن حكم النفع المشروط في القرض شرعا عند الفقهاء يجاب ان نفع القرض مكروه كما قال عطاء كانوا يكرهون كل قرض جر منفعة وكما نقل الامام محمد رحمه الله في العالمكيرية بلفظ قال محمد (رح) في كتاب الصرف ان أبا حنيفة (رح) كان يكره كل قرض جر منفعة قال الكرخي هذا اذا كانت المنفعة مشروطة في العقد بأن أقرض غلة ليرد عليها صحاحا أو ما أشبه[1] ذلك فان لم تكن المنفعة مشروطة في العقد فأعطاه القرض أجود مما عليه فلا بأس به اه

واستدل[2] عليه بوجوه : الاول قياسه على الربا المنصوص والمقيس عليه عند البعض الربا الذي يكون في بيع الشيء بجنسه متفاضلا والامر المشترك المبادلة وهو كما يكون في البيع يكون أيضاً في القرض فكما يكون هذا الفضل في البيع ربا يكون في القرض أيضاً ربا كما صرح به ملك العلماء الكاساني وعند البعض المقيس عليه ربا الجاهلية والامر المشترك الزيادة في مقابلة الاجل لان في ربا الجاهلية كما تكون الزيادة بمقابلة الاجل اذا لم يقض الثمن عند حلول الاجل كذا في القرض كما صرح به ابن رشد وفيه نظر وهو ان القياس لا يصح للفرق بين المقيس والمقيس عليه أما في الاول فلان القرض ليس فيه مبادلة أصلا عند الشارع فكيف يصح هذا القياس مع هذا الفارق؟ وأما في الثاني فلأن الزيادة في الجاهلية كانت بعد حلول الاجل لا في ابتداء العقد والكلام في الزيادة التي تكون من أول العقد وليس هذا من ذاك

---

(١) أي بأن رد زائدا على القدر المدفوع

(٢) ولا يجوز ان يستدل على حرمة نفع القرض بأنه حرم في التوراة وشرائع من قبلنا حجة عند الحنفية لانها حجة بشرط النقل في شرعنا وعدم الرد عليها وهو لم ينقل في شرعنا فلا حجة فيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(والثاني) حديث[1] «كل قرض جر منفعة» وهو وإن كان ضعيفاً غير صالح لثبوت الربوية لكن أدناه أن تثبت به الكراهة *

(والثالث) قال النبي ﷺ «القرض صدقة» وقال ابن عمر السلف على ثلاثة أوجه: سلف تريد به وجه الله فلك وجه الله - وفي المدونة - قال ابن وهب عن رجال من أهل العلم عن ابن شهاب وأبي الزناد وغير واحد من أهل العلم ان السلف معروف أجره على الله فلا ينبغي لك أن تأخذ من صاحبك في سلف أسلفته شيئاً ولا تشترط إلا الاداء - فعلى هذا أي اذا كان القرض عبادة وصدقة فحكم الاستئجار والاستنفاع عليه كحكم الاستئجار على الصدقات والعبادات كالاستئجار على تعليم القرآن وتعليم الفقه والحديث والاستئجار على قرآن التراويح والاستئجار على سائر أمور الدين من الوعظ والتذكير والافتاء وخدمة المدارس الدينية والأذان والامامة وغيرها وعلم الصواب عند الله *

* * *

﴿ ماقولكم أيها العلماء الكرام في أجوبة الاسئلة المذكورة ؟ ﴾

﴿ هل هي صحيحة أم لا ؟ بينوا ونوروا قولكم بالدليل ﴾

﴿ الأسئلة ﴾

(١) لفظ الربا في آية (أحل الله البيع وحرم الربا) مجمل أم لا ؟ سيما عند الاحناف وعلى الاجمال ما التفسير الذي ورد عن الشارع ؟ أعني في القرآن والحديث الصحيح *

(٢) بينوا معنى الربا عن القرآن والاحاديث الصحيحة ؟

(٣) النفع المعين المشروط في القرض ربا منصوص أم لا ؟

(٤) النفع المشروط في القرض لو قيل هو ربا فما الدليل عليه من الادلة المعتبرة عند الفقهاء الكرام ؟ *

---

(١) وأثر عبدالله بن سلام مضطرب ومعلول كما مر تفصيله وأما الآثار الأخر فضعاف كلها وبعضها مع ضعفه لا يدل على كون المنافع ربا والكلام في حجية الآثار مشهور لا سيما اذا كان مدركا بالقياس واما اتيانها موضع تفسير إجمال القرآن فلم يقل به أحد .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿ الاجوبة ﴾

هو المصوب

(١) الربا المذكور مجمل عند الأحناف وغيرهم من الائمة حتى يصح أن يقال اتفقت عليه الأمة وحديث عبادة وغيره تفسير له عند الجمهور (انظروا ص ٢٧٤ـ٢٧٨ ج ٤ المنار)

(٢) الربا هو الفضل الخالي عن العوض [١] في البيع (مبسوط ـ عناية شرح هداية ـ انظروا ص ٢٨١ و ٢٨٢ منه) والدليل على هذا المعنى ماروا عبادة وغيره «الحنطة بالحنطة» الخ (انظروا ص ٢٧٨ و ٢٧٩ منه)

وعلى هذا المعنى تدل أيضاً (آية واحل الله البيع وحرم الربا) لان على تقدير اجمال الربا وكون الحديث تفسيراً لها لا يكون ربا القرآن غير ربا السنة فربا القرآن عين ماثبت كونه ربا بالحديث (انظروا ص ٢٨٢ منه)

(٣) النفع المشروط في القرض ليس هو ربا منصوصاً لعدم ثبوته من القرآن ومن حديث صحيح (انظروا ص ٢٨٣ الى ص ٢٩١ منه)

(٤) النفع المشروط في القرض لما لم يثبت كونه رباً بالقرآن والحديث استدل على كونه ربا تارة بالقياس (انظروا ص ٤٣٦ ج ٦ منه) وتارة بحديث «كل قرض جر منفعة» وفي كليهما نظر أما في الاول فلانه قياس مع الفارق (انظروا ص ٤٣٧) فلا يصح وأما في الثاني فلانه ليس بصحيح بل هو ضعيف فغير صالح للاحتجاج ولو سلم صحة القياس ففيه ان الاحكام القياسية [٢] تقبل التغير بتغير الازمان كما هو ثابت في

---

(١) زاد الفقهاء في تعريفه قيد المشروط لكن ينبغي تركه كما مر

(٢) في مجلة الاحكام ـ لا ينكر تغير الاحكام بتغير الازمان ـ وفي شرحه كغلق باب المسجد في غير وقت الصلاة يجوز في زماننا صيانة عن السرقة ـ قال ابن عابدين في رد المحتار وأنت خبير بان اكثر الاحكام تغيرت لتغير الازمان (كتاب الصوم ج ٢ ص ١٤٧) وقال في نشر العرف ـ فكثير من الاحكام تختلف باختلاف الزمان لتغير عرف أهله او لحدوث ضرورة أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ماكان عليه أولا للزم منه المشقة والضرر بالناس ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضرر والفساد لبقاء العالم على أتم نظام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

موضعه ومن كان له وقوف على حال هذا الزمان وخبرة بأهله فلا محيص له بدون أن يفتي بجوازه كما في الاستئجار على تعليم [١] القرآن والأذان والامامة وغيرها والاستدلال عليه بالتعامل والتوارث عن السلف ففيه أن التعامل مبني على القياس لا على غيره من الادلة ومن ادعى فعليه البيان والله أعلم بالصواب المستفتي

(تكملة)

لما تنبه الشيخ سناء الله رحمه الله على أن نفع القرض المشروط لا يدخل في الربا المحرم بالنص على المسلكين فقال مخالفاً لما عليه الجمهور : إن المراد بالربا معناه اللغوي وهو الزيادة وهي عبارة عن فضل يعلو على المماثلة والمساواة [٢] فأوجب تعالى في المبايعة والمقارضة المماثلة والمساواة فالمعتبر فيها المماثلة بالاجزاء كيلا أو وزناً إن اتحد جنس البدلين وكانا من ذوات الامثال وعند اختلاف الجنس تكفي المماثلة المعنوية وهي القيمة وجعلت القيمة مماثلة للبدل لان مالكي البدلين رضيا عليه عند المبادلة فيصير كل من البدلين مثلا لمجموع [٣] البدل الآخر باصطلاحهما انتهى ملخصا عن عبارته الشريفة في التفسير المظهري ويختلج في صدري أنه على هذا لا يجوز للمشتري أن يبيع ما اشتراه بأكثر من الثمن الذي اشتراه به لأنه الفضل لغة مع أنه جائز باتفاق الأمة وعند الشيخ أيضا .

وأحسن إحكام (ص ١٢٥ رسائل ابن عابدين ج ٢) وأيضا وقد أسمعناك ما فيه الكفاية من اعتبار العرف والزمان واختلاف الاحكام باختلافه (١٢٨) ونقل في هذه الرسالة أن العلامة شمس الأئمة نقل عن الامام الفضلي في نزع الناس عن عاداتهم حرج ثم قال ولقد صدق الفضلي في قوله ولهم في ذلك عادة ظاهرة وفي نزع الناس عن عادتهم حرج فهو نظرا الى أن ذلك غير ممكن عادة فأثبت الضرورة وقال إن المستحيل العادي لاحكم له وان أمكن عقلا ١٤٠

(١) مع أن حرمة الاستئجار في البعض منصوصة ولكن بحسب حاجة الناس أفتى الفقهاء الكرام بجوازه فعلى هذا النفع المشروط في القرض أولى بأن يفتى بجوازه لأنه ليس منصوصاً عليه بالحرمة (إذا الناس ناس والزمان زمان) (٢) قد مر أن المماثلة لا توجد في القرض لانه ليس فيه وجود الطرفين (٣) فيه أن القرض ليس فيه المبادلة عند الشرع وهذا الشيخ أيضا أقام عليه الادلة ثم قال: أعطى الشرع لمثله حكم عينه (تفسير مظهري)

« انتهى الاستفتاء وسنبين رأينا فيه في الجزء الآتي »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملاحظات على كتاب المسيو درمانغام

﴿ المنون بحياة محمد ﴾

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

مقدمة وتمهيد

حياة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: اشترك في درسها الكتاب والفلاسفة والمؤرخون ورواة الاخبار منذ ماينيف على العشرة قرون وإن منهم إلا من بخسه حقه، وقصر من وصف نقطة من بحر مزاياه، ومع هذا فلا لوم عليهم ولا عتاب مهما تفاوتت مداركهم، واختلفت أساليبهم، وتباينت مذاهبهم وملهم، لانه عظيم بل أعظم من أظلته السماء، ولا ترتقبوا مني دليلا على ما أدعي فاني أقصر باعا ممن تقدمني لهذا الباب، والقصور لا يمنع من ابتلي به عن إدراك النقص فيما يرى أو يسمع، فها أنت ذا تأخذ على ممثل التصنع في القول أو تعيب عليه الخفة في الحركات ولكنك لا تستطيع أن تأتي بأحسن من صنعه. وهذا مثل واضح ضربته حتى تعلم انه ليس من شروط المنتقد ان يكون أعلم ممن تصدى لانتقاده أو — على الاقل — في درجته، فاذا فهمته حق فهمه علمت انني لا أدعي تفوقا او علما وانما الاحظ أن خزائن الكتب العربية خالية من تأليف يحتوي على درس دقيق لحياة سيدنا محمد ﷺ وليس كل ما كتب إلى الآن في هذا الموضوع الا بمثابة مواد يجب على طائفة من العلماء أن يحللوها ثم يرتبوها ويبوبوها بعد أن يضيفوا إليها ماغفل عنه المتقدمون وعند ذلك يضعون بين يدي الخاص والعام أحسن تعريف بذلك النبي العظيم الذي لم يأت التاريخ بمثله فهو الرسول الوحيد الذي استطاع أن يأتي أمته في ظرف عشرين سنة بخير دنياها وسعادة أخراها. شرع لها العبادات — سن لها قوانين الزواج والطلاق والارث — شرح لها طرق الكسب والمعاش — أشرع لها منهج المعاملات علمها سياسة البلاد — قرر لها أنواع الاحكام — بين لها آداب الأكل واللبس والزيارة — زرع في قلوب أهلها الرأفة والشفقة — وحد صفوفهم — حرم عليهم مافيه مضرتهم. على حين كان مشتغلا بحاجات بيته الطاهر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ناشراً لدعوته الصادقة محارباً للمشركين الذين كانوا يكيدون له الكيد ليل نهار.

أرجو أن يسمع علماء المسلمين ندائي على خمول مصدره فيصنفوا لنا كتاباً تستنير به بصائر الجاهلين وترتاح اليه قلوب الحائرين، ويزيد المهتدين إيماناً مع إيمانهم.

بمثل هذا الكتاب ينقطع سيل الحملة التي ارسلتها الكنيسة على الملة الاسلامية بان قلدت الجيوش من الدجالين أمضى ما لديها من الاسلحة وأوعزت اليهم أن ينالوا من الديانة الاسلامية ما استطاعوا حتى تبطئ في السير أو ترجع القهقرى.

أنا مستيقن وأنتم معي ـ معشر المسلمين ـ بانهم لن يصيبوا منها شيئاً لان الله يأبى الا أن يظهرها على الدين كله بالرغم من المعاند والملبس، ومع هذا يجب علينا ـ وخصوصا العلماء منا ـ أن نعارض خطة الكنيسة في هذا الصدد وان لانغفل عن جماعة المفسدين المضاين الذين يريدون أن يزعزعوا بسطاء العقول والجهلة ويزيغوهم عن معتقداتهم ثم يقودوهم الى النصرانية.

فالتدارك التدارك قبل أن يتسرب الخراب إلى الطائفة المحمدية لأن خصومنا لايذرون طريقاً مستقيمة ولا معوجة الا سلكوها، ولا تركن إلى مايدعونه من اللادينية والتسامح والاخلاص للعلم وغير ذلك من زخرف القول وخادع الالفاظ، فما فرط في دينهم اليوم الا المسلمون، وما جاوز حدود التسامح إلا هم، فلو أنهم أقاموا شعائره واتبعوا أوامره لما تجاسر أحد أن ينسب إليه الجمود. بل أن يطعن فيه وفي صاحبه عليه الصلاة والسلام فيدعي ان القرآن المرسوم في المصاحف غير القرآن المنزل من السماء وأن سيدنا محمداً ﷺ كان يأخذ عن اليهود والنصارى.

نعم ذلك ماجاء في كتاب ظهر منذ عام باللغة الافرنسية بعنوان «حياة محمد» ﷺ وقد سبقني إلى انتقاده صديقي أحمد بلافريج حيث نشر عنه في العدد ١٤٦ من مجلة الفتح الغراء كلمة لاحظ فيها على المؤلف — مسيو درمانغام (M. E. Dermenghem) خطأين عظيمين ثم بين كلا منهما وناقش مرتكبهما الحساب وبذلك أدى واجبه نحو الامة الاسلامية فجزاه ربنا خيراً

وأنا أريد ان اقتفي أثره وأعرض على قراء المنار الكرام مابدا لي من الملاحظات عند تلاوة «حياة محمد» ﷺ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اقتنيت هذا المؤلف وأملي أن اجد فيه مالم أقف عليه في غيره من الكتب التي عرف به أدباء الغرب اليوم من البحث والتنقيب. فلم يخب ظني إذ عثرت فيه حقيقة على آراء هي - في نظر المؤلف - أنفس من أن تسكن بطون كتبنا القديمة وقد أشرت إلى البعض منها آنفا وبقي علي أن أنقل إلى القارئ كلام المسيو درمانغام فيها ثم أعلق عليه ماخطر لي من الافكار عند تلاوته وسأقتصر في انتقادي على نقطتين بارزتين في الكتاب ولو أردت أن أبين كل ما احتوى عليه من الزلات كبائرها وصغائرها لما اكتفيت بضعف صحائفه وليس ذلك من المتيسر لي

***

قال في صفحة ١٣٥ عند كلامه على كتاب الله العزيز « القرآن أقرب إلى المسيحية من السنة على ماهو عليه الآن. وأما اذا اعتبرنا كيفية تدوينه فيمكننا أن نتساءل هل كان أصله (كذا) يزيد شبهاً بها من الفرقان الموجود الآن؟ وعلى كل حال فالحديث هو الذي حفر هوة بين الديانتين »

ثم خط على صفحة ٢٧٦ مامعناه « غير صعب على عقولنا وهي أشد معرفة بافعال الله من معاصري النبي (عليه السلام) ومن علماء المسلمين[1] أن نؤمن بوجود فرق بين كلام الله القديم وبين الفرقان المحفوظ في الصدور المرسوم على الاوراق وقد يظهر ذلك الفرق بعد الدرس والتفكير وربما برز عند مجرد النظر »

ثم كتب على صفحة ٢٨٣ « لم يدون القرآن إلا بعد نزوله بمدة وقد ضعفت عندئذ ذاكرة القوم وكثر بينهم الخلاف فيه وكان ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة »

وقال في الصفحة التي بعدها « بأية وسيلة يمكننا ان نتوصل إلى معرفة

(١) المنار: وغير صعب على عقول المسلمين أن يؤمنوا بأن هذا الكاتب وأمثاله ومن يقولون في القرآن والحديث مالا يعلمون ومالا يعتقدون لتشكيك المسلمين واضعاف دينهم ليخضعوا لهم ويقبلوا ظلمهم، فان بناء سياستهم على الكذب والخداع مر مشهور يعرفه حتى الرعاع. ودعواه انهم أعلم بأفعال الله تعالى من معاصري محمد (ص) غرور باطل ودعوى لاتقوم عليها بينة، فهم أجهل الخلق بأفعال الله

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشروح والتاويلات التي أدرجت في القرآن وما هي نسبتها منه ؟ ترى هل هو مجرد عن الحديث النبوي ؟ »

تلك آراء المسيو درمانغام في القرآن الكريم وإلى هذا الحد وصل سوء ظنه بالصحابة الاجلاء الذين يابى حتى البليد أن يتهمهم بتحريف أو تزوير في كتاب الله[1] لما عرفوا به من الاخلاص لهذا الدين الحنيف والاعتصام بحبله والاعتناء بقانونه ودستوره الذي هو القرآن العزيز . لاشك انه لاينكر هذا كما انه لا ينازع في قوة الحافظة عند العرب لرواية أخبارهم وأشعارهم مع الغريب من ألفاظها والمعتمد من معانيها . فكيف وما ذكرت يجوز في حقهم نسيان آيات من كتاب نزل عليهم من عند الله واستولى على حواسهم بفصاحته وسلاسة معانيه وعذوبة ألفاظه وصدق روايته ؟ وكيف ننسب اليهم زيادة أو نقصاً فيه وهم يعلمون أن من بدل منه حرفا يصلى سعيراً ؟ عار على المفكر أن يرميهم بشيء من ذلك لمجرد شكوك حاورت عقله أو شبه ضعيفة تراءت لخياله .

على أنهم كانوا رضي الله عنهم يكتبون القرآن عند نزوله إما من تلقاء أنفسهم وإما بأمر صاحب الشريعة ﷺ . وقد جمعه كثير منهم إلا أن ثلاثة مصاحف هي التي اختصت وقتئذ بالثقة . منها : مصحف سيدنا زيد بن ثابت ، وقد كان عرضه على النبي ﷺ في أواخر حياته ووافق عليه ، وزيد هذا هو الذي كان من لدن سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه أيام خلافته بكتب المصحف . وبقي ذلك المصحف عند أبي بكر حتى مات رحمه الله ثم انتقل إلى سيدنا عمر رضي الله عنه حتى توفي فبقي عند ابنته أم المؤمنين حفصة إلى أن طلبه منها سيدنا عثمان رضي الله عنه ثم أمر زمرة من الصحابه الاعلام أن ياخذوا منه عدة نسخ ليفرقها في أنحاء المملكة

---

(١) المنار : لاشك أن هذا الرجل سيىء النية متعمد للكذب لتشكيك قراء كتابه من عوام المسلمين فما كتبه تقولات لا آراء ، أملاها الجهل وقلة الحياء ، وأي جهل ووقاحة أشد من دعوى من يزعم أن القرآن كتب بعد انتهاء مدة الخلفاء الراشدين ويزيد ومعاوية الاصغر ومروان - أي في عهد عبد الملك و٤ من بني أمية أي في عهد عبد الملك بن مروان فهل كان المسلمون في هذه المدة بغير قرآن ؟؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكل ذلك مبسوط في محله وإنما أوردته لأبين للمسيو درمانغام ان القرآن جمع أول مرة بعد ممات النبي عليه السلام بنحو سنتين وثانياً بعده بما دون العشرين، وأما حديث السبعين عاما فلم يقله إلا هو وله أن يراجع التاريخ الاسلامي ليتأكد لديه صحة ماذكرت. وعليه أن يدرس حياة سادتنا أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم ليعلم أنه يستحيل في حقهم أي تحريف او تبديل في القرآن. أليس عمر هو الذي كاد يقضي على اعرابي سمعه يتلو آيات بقراءة مخالفة لما أخذه هو عن رسول الله ؟ - بلى هو ذاك الفاروق الذي لو روى لنا القرآن وحده لما ارتبنا في صحته لأننا لا ننقاد لسلطان الخيال وندع نور الحق جانبا، ولا ننا لا نعقل وجود « فرق بين كلام الله القديم وبين القرآن المحفوظ في الصدور »

ولكنا نعلم ان في نفس المسيو درمانغام حاجات يحول دون الوصول اليها القرآن. وقد حسب انه ينال مقصوده بالتكلم في الذكر الحكيم والطعن في خاتم المرسلين. وما غايته إلا تقريب الديانة الاسلامية من الملة المسيحية حتى يسهل على أصحاب الاولى أن يمروا إلى الثانية لانه من المخلصين لها (دينا او سياسة). فكأنه يقول: الاسلام فرع من النصرانية وقد كان القرآن « الاصلي » أقرب اليها من الفرقان الموجود الآن، وإنما بعد عنها بتحريف من الصحابة والفقهاء، فالاوفق والانسب الرجوع إلى الاصل[1]

وهذه مكيدة من سياسة الكنيسة اليوم في التبشير فقد أمرت خدامها أن لا يصادموا المسلم بادئ بدء بدعوته إلى النصرانية بل أن يقوضوا دعائم الاسلام واحدة فواحدة ويشككوا بسطاء العقول من أهله في معتقداتهم حتى إذا ما بقوا حيارى ومرت بهم قافلة أخرى من المبشرين ساقتهم معها إلى الصليب

غير ان المسلمين لا ينخدعون لها ولا يخالجهم ريب في القرآن (وإنه لكتاب عزيز*

---

(١) المنار: لا حاجة الى مزاعم هذا الرجل في ارجاع المسلمين الى القرآن فعقيدتهم التي يكفر عندهم كل من خالفها أنه هو الاصل القطعي وان الحديث الذي يخالفه مخالفة حقيقية لا يمكن أن يكون صحيحا ولكن هذا الاصل ينقض النصرانية المعروفة بأشد مما تنقضها الاحاديث كما يأتي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) لأنهم يتلون ويسمعون (إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون) فيقولون صدق الله العظيم

ولو أقامت الكنيسة الانجيل كما انزل من عند الله لكنا وأهلها امة واحدة ولكن رجالها بدلوا فيه وغيروا (١) ثم أبوا ان يرضوا عن سيدنا محمد ﷺ حتى يتبع ملتهم . فنهانا الله تعالى أن نؤمن لهم .

واما مسيو درمانغام فنظره ان مسئلة الصلب وحدها هي التي ابعدت الاسلام عن النصرانية وهو لا يستبعد ان تكون تلك المسئلة من المحرفات في الكتاب قال في صحيفة ١٣٠ (130)

« إذا اعتبرنا ان القرآن لم يجمع إلا في عهد عثمان والحجاج (كذا) ... وان الالفاظ لم تكن مشكولة بنقط او حركات بحيث كان في الامكان النطق بها بكيفيات مختلفات يبقى لنا ان نتساءل فيما إذا كانت هذه الآية (وما قتلوه وماصلبوه...) تكفي لان تكون سداً مانعاً بين ديانتين متحدتين في كل ماسوى هذه المسئلة . زد على ذلك أن تلك الآية تناقض ماجاء في سورة آل عمران (إذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك إلي...) وفي سورة المائدة (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم) وفي سورة مريم (والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت...) » اه

نحن لا نرى تناقضاً بين آيات « الوفاة » وبين آية نفي « الصلب» وقد قال

(١) المنار : إن النصارى أضاعوا الانجيل الذي اوحاه الله تعالى إلى عيسى عليه السلام وانما هذه الكتب المسماة بالاناجيل عندهم تاريخ أو تواريخ له فيها شيء من ذلك الانجيل الذي نقل عنه لوقا ذكره بقوله (١٦ : ١٥ وقال لهم اذهبوا إلى العالم واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها اه وقال الله تعالى (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به) فالقرآن هو المهيمن على هذه الكتب كلها ، وهو دين الله الاخير المكمل لما جاء به جميع الانبياء من دين الله الواحد في أصوله وأهمها وأعظمها التوحيد، والناسخ لجميع ماخالفه من شرائعهم وهو الذي حفظ دونها فالنصرانية هي التي يجب أن ترجع اليه دون العكس الذي يحاوله المبشرون بدين الكنائس بل بأديانها المتعارضة، والانجيل برنابا أصح عندنا من هذه الاناجيل الكنسية وهو ناطق بالتوحيد وبراهينه وبنبوة محمد ﷺ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعض المفسرين إن الله توفى المسيح قبل أن يرفعه . وهو تأويل معقول المعنى لان سيدنا عيسى عليه السلام كان لابد له من الموت لانه إنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتعب كسائر الناس ، والموت لايقتضي أن يكون بسبب الصلب أو القتل بل المتبادر من التوفي انه عليه السلام مات حتف أنفه بدون فعل أحد وذلك لاينافي الرفع . ألم تر أن الله يقول (إني متوفيك ورافعك إلي ؟) فلم العناد إذاً وقد ذكر في القرآن أن اليهود قتلوا أنبيائهم كيحي وزكريا ؟ ثم هب أننا عمدنا إلى آية الصلب فغيرناها حسب رغبتك . أفتظن ان ديانتينا تصيران متشابهتين ؟ ـ كلا إننا نقول (الله أحد) وقومك يقولون الله ثالث ثلاثة ونحن نقول إن عيسى المسيح عبدالله ورسوله وهم يقولون (ان الله هو المسيح عيسى بن مريم) وقد قال الله تعالى لرسوله محمد خاتم النبيين . (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) فأينك وما أحدثته ـ في زعمك ـ آية الصلب من التباين ؟ وأينك وتآخي الديانتين والمسلمون لايزالون يتلون ؟ « ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء . بعضهم أولياء بعض »

اتكون كل هاته الآي وما في معناها مما ذكره مزيدة في القرآن بقصد إبعاده عن المسيحية ؟ ام تريد ان تحذف كل مافي هذا المعنى من القرآن ولنندمج في النصارى ؟ ذلك مالسنا بفاعليه وإن بدل الهلال غير الهلال ، لان الخلاف بيننا في اسر الاعتقاد اعني « التوحيد » (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة . ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك)

اللهم اجعلنا من المخلصين في الايمان بك والاتباع لرسولك إلى الابد !

***

والآن سأرجع بك ايها القارىء إلى الصحيفة ١١٧ (117) من كتاب المسيو درمانغام ، حيث يستخدم قوة خياله وسوء نيته في الحط من قدر صاحب الشريعة عليه السلام .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال هنالك« والذي لاريب فيه أن محمداً ﷺ تأثر بديانة المسيح . بل ان الرهبان والنصارى المقيمين بمكة وبعض المفكرين من العرب كزيد بن ثابت هم الذين زرعوا فيه العاطفة الدينية قبل عهد الرسالة »(١)

هذا مما لايشك فيه كاتب « حياة محمد » ولكن ماادلته وحججه ؟ أأنزل عليه الوحي بذلك ؟ ام تسار مع النبي ﷺ بطريق استحضار الارواح ؟ ذلك ما اهمل ذكره، وكل مابرهن به على ماادعى هوز عمه وجود بعض النصارى بمكة وضواحيها ! مع انه لايجهل ان الانجيل كان في ذلك العهد محفوظاً عند رجال الكنيسة بحيث كان يستحيل ان تجد من بين مطلق المسيحيين من يروي شيئا من تعاليمه . واليك كلامه عن ذلك في الصحيفة ٦٣ (63): « كان محمد ﷺ يميل إلى ديانة المسيح غير انه كان لايعرف عنها إلا شيئا نذراً وما كان يمكنه ان يأخذ عن النصارى المقيمين بمكة لانهم جهلاء لايتفقون على رواية »

الله أكبر ! الآن حصحص الحق وظهر تناقض المؤلف وخباله ! فمن جهة يزعم أن سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام كان يأخذ عن النصارى الذين كانوا بمكة ، ومن جهة كان يثبت أنه ما كان يمكنه الأخذ عنهم لانهم يجهلون تعاليم المسيح ولا يتفقون على شيء منها . اللهم إن عقولنا تعجز عن الجمع بين هذين المعنيين . بيد أنها تعلم أن جل النصارى اليوم لايعرفون من الانجيل شيئاً مع تعدد طرق النشر وأساليبه . فما بالك في عهد لم تكن فيه مطبعة ولاجريدة ؟... وعليه فعمن أخذ ﷺ التفاصيل عن اخبار الامم السالفة ؟ ندع الجواب للمسيو درمانغام . وربما يجيبنا بانه كان عليه السلام يتلقى ذلك من طريق الوحي حيث أنه لاينكر تلك المعجزة وان حاول غير مرة في كلامه عنها أن يظهر لنا نبينا

(١) المنار : من حسن حظ المسلمين ان هؤلا الذين يطعنون في دينهم يفضحهم في كذبهم وافترائهم جهلهم بالاسلام وتاريخه فزيد بن ثابت الذي زعم هذا المفترى أنه كان يزرع عاطفة النبوة والرسالة في نفس النبي صلى الله عليه وسلم انصاري من يثرب كان عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة طفلا فيما ولم يره قبلها، وقد استصغر يوم بدر فلم يؤذن له بالقتال لصغره ! !

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في صورة « درويش هندي » أو « فقير صوفي » في لجة الارتباك . قال في صحيفة ٦٢ (62) مامعناه «انقطع محمد (عليه السلام) عن الناس وحببت اليه الخلوة. وكل هذا لايخلو من فائدة عند الشرقيين . فكأنه كان بتأمله وبطول تفكيره في خلوته يستجمع قواه العقلية وينمي حاسة الاختراع فيه وبذلك لايصيبه تعب ولا ملل من بعد ... وبعبارة كان محمد ﷺ مقر ازمة وكان يفزع إلى الجبال ليحلها»

مفهوم هذا الكلام انه عليه السلام كان يعتزل الناس ليخترع لهم ديناً جديداً وإلا فما معناه؟ قوله « وكل هذا لايخلو من فائدة عند الشرقيين ..» نعم نحن لاننكر انه كان قبيل إبان الوحي يتردد الى غار حراء ولكن عسير علينا ـ والله ـ ان ندرك ما كان يدور في خلده آنئذ وإن كنا من الشرقيين الذين ينسب اليهم واسع الخيال . فان استطاع المسيو درمانغام أن يأتينا بحجة على مايقول فانا مستعدون لقبولها بل ولقبول ماجاء في الصحيفة (66) من كتابه واليك ترجمته

« علم محمد ﷺ من طريق نصارى سورية ومكة أن هناك ديناً سماويا وان الله كان يبعث بأوامره لبعض الامم ليلقنهم الحقيقة . وذلك بواسطة رجال يصطفيهم ليرشدوا الناس ويردوهم إلى الجادة كلما حادوا عنها . كما علم أن ذلك الدين كان واحداً وإنما الناس يحرفونه في مدة الفترة . وطالما تمنى أن يقيض الله للأمة العربية من يرشدها لانها كانت تائهة في فيافي الضلال .»

فعاطفة مثل هاته غير مستحيلة في حق النبي عليه أفضل الصلاة والسلام مع ماعرف عنه من مكارم الاخلاق (وإنك لعلى خلق عظيم) كما أننا لانشك أن الدين الذي أتى به كل الرسل واحد في أصوله الاعتقادية وهي توحيد الله والوحي والبعث والجزاء وأصوله العملية وهي الفضائل والاعمال الصالحة — وإنما يختلفون في الفروع والشرائع العملية (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقد أمرنا بأن نؤمن بهم وأن لانفرق بين أحد منهم فما جاء به سيدنا محمد ﷺ هو عين ما أنزل على كل من سادتنا نوح وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم صلوات الله عليهم أجمعين في أصوله . إلا ان قومهم من بعدهم حرفوه حسب أهوائهم وأغراضهم وإلا لاتبع اليهود والنصارى سيدنا محمدا عليه السلام (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما دعواه أن النبي عليه السلام علم ذلك من طريق نصارى سورية فهي من الغرابة بمكان ، بل مثال متناه في الجسارة على البهتان

وبعد هذا كله إذا فرضنا انه عليه السلام أخذ ذلك عنهم فمن أين يا ترى تلقى ما يحويه الفرقان من الحكم والاحكام والآداب ؟ ـ إذا كان من طريق الوحي وهو الحق واعترف به المسيو درمانغام فاذاً ماوجه الحاجة إلى النصارى أو غيرهم؟ أليس الذي علمه ماذكر بقادر على أن يقص عليه أخبار الامم الماضية ؟ بلى ! وهو العليم القدير .

فكفوا معشر المسيحيين عن غلوكم وتحاملكم وحولوا جهودكم شطر الهمج من الوثنيين . وأما المسلمون فهم لا يرضون بدينهم بديلا لما يجدون فيه من خير الدارين . ولقد كانوا أرقى الامم وأعزها وأكرمها وأشدها بأساً يوم كانوا متمسكين به . ولديهم من المجلدات القناطير المقنطرة شهادة على ذلك ، وهذه الآثار لاتزال قائمة ناطقة في كل بلد فتحوها ، ولكنهم اشتغلوا بعد ذلك بالسفاسف وتمسكوا بالقشور من أمر دينهم فحقت عليهم كلمة العذاب ، ولئن لم يستدركوا مافاتهم بان يعلموا اولادهم تعليما دينياً عربياً فانهم لايلبثون ان يصبحوا مذبذبين بين الاسلام والنصرانية والالحاد . لاإلى هذا ولا الى تلك ولا إلى الآخر . والوقت حرج لايدع مجالا للتردد . فاما علينا واما لنا .

الرباط (المغرب الاقصى) « اليزيدي »

في (8) جمادى الاولى عام (1348) (12) اكتوبر (1929)

(المنار) اذا كان درمانغام هذا يؤمن بالله تعالى ويعقل أفعاله وحكمه أحسن مما كان يعقلها الناس في عصر النبي ﷺ كما ادعى فليخبرنا بالبرهان الذى قام عنده على نبوة موسى وسائر أنبياء بني اسرائيل التابعين لشريعته وآخرهم المسيح عليهم السلام وعلى انها وحي من الله دون نبوة محمد ﷺ وشريعته مع أن القرآن أعلى من التوراة وغيرها من كتبهم في العلوم الالهية والتشريع الادبي والمدني واخباره بالغيب أصح من اخبارهم رواية وأصرح منها وأثبت ، وقد كان أميا نشأ بين أميين من حيث نشأ موسى في بيت ملك كان أرقى مافي الارض علما وتشريعاً؟ فان كان يعقل هذا ويتكلم عن اعتقاد ورغبة في الجمع بين الديانتين فعليه ان يدعو النصارى الى الاسلام مصلح النصرانية، وخاتمة الاديان الالهية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثورة فلسطين - أسبابها ونتائجها

﴿ حقائق في بيان حال اليهود والانكليز والعرب والرأي في مستقبل العرب والشرق ﴾

(٢)

حقيقة حال الانكليز

قد بينا في الفصل الاول من هذا المقال حقيقة حال اليهود مايعدُّ لهم وما يعد عليهم ومنه ماهو خفي عن أكثر الناس ، وأما الانكليز فأمرهم مشهور عند قراء الصحف وغيرهم لكثرة خوضها في سياستهم وأعمالهم ونقلها مناقشات برلمانهم فيها ونقل أقوال صحفهم وصحف الامم الاخرى في نقدها مدحاً وذما ، وانما تخفى على الكثير منهم اخلاقهم وصفاتهم العامة وما طرأ عليها من تغير فنذكر مايعنينا من ذلك

كان القوم مشهورين بالصدق والعدل والحزم والتدبير ومراعاة حرية الناس في اديانهم وآرائهم ، وبالوفاء بالوعود والعهود في معاملاتهم الشخصية والدولية ، كما اشتهروا بالدسائس والحيل والكيد والمكر ، والعجب والكبر ، والرياء والافك ،(*) ولم يكن كل مايقال في الشهرتين حقاً ولا كله باطلا ، وإنما مرجع أكثر ما يوصفون به من فضيلة إلى أخلاق الافراد ومزايا الشعب يفيض شعاعه على الحكومة ، كما أن مردَّ أكثر مايوصفون به من رذيلة إلى الحكومة وقد يثور غباره في وجوه الشعب ، وما كانت تمدح به حكومتهم وحدها فمنه ماهو حق الا انه نسبي لا تام في الغالب ، ومنه ماهو من تأثير الدعاية (البور بغنده) التي لم يتقنها أحد كاتقانهم ، ولا تنفق في سبيلها دولة كانفاقهم ، وأعني بالنسبي أمرين (احدهما) مايكون من المقايسة بين الانكليز وغيرهم من المستعمرين ولا شك انهم أمثل وأعقل وأنبل (وثانيهما) ما يكون من التوازن بينهم وبين الحكومات الوطنية للبلاد التي يتولون أمرها بالاسماء المختلفة أو المختلقة التي يضعونها لها كغيرهم (كالحماية والاحتلال والاجارة والانتداب) وما غلب أولو سلطان وإمارة على حكمهم وانتزعت منهم

*) الافك صرف الشيء عن وجهه الحق الى غيره

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بلادهم، إلا بظلمهم وإسرافهم في أمرهم. فهؤلاء القوم يتحرون أن يكونوا أقل منهم ظلماً .وأمثل حكاما، ولو لم يفعلوا إلا النظام في الظلم، والمساواة بين كبير الناس وصغيرهم في الحكم، لكفى ذلك مروجا للدعاية لهم، والتنويه بفضلهم على غيرهم، على انهم لا يساوون أنفسهم بغيرهم من اهل هذه البلاد، ولا يتنزهون عن محاباة صنائعهم وأعوانهم على تمكين نفوذهم فيها، ولا يتقون ظلم أي زعيم وإذلال أي عزيز يطالب باستقلالها، أو يأنسون منه خطراً على حكمهم، او اشمئزازاً من ظلمهم،

والانكليز مزية أخرى على غيرهم من المستعمرين ولا سيما اللاتين وهي- كما قال لنا الدكتور يعقوب صروف من دعاتهم وسماسرة سياستهم — انهم يسمحون لأهل البلاد التي يسوسونها بشيء من ثروتها ومظاهر الحكم والجاه فيها يتمتعون به في ظاهم، من حيث يعترق الآخرون لحمها، وينتقون المخ من عظمها .ويستأثرون بالكبير والصغير من الحكم والنفوذ فيها، وقد قلدتهم دولة أخرى في نصب تماثيل للحكم في بعض مستعمراتها من أهلها، لكنها لم تدع لهم أدنى نصيب من مسمى الاسماء التي تفضلت عليهم بها، فكانت أضر على أهل بلادهم منها على أهل البلاد التي لم تنصب فيها شيئاً من هذه التماثيل

وأما فضيلة الانكليز العليا فهي أنهم أدنى إلى مراعاة سنن الاجتماع . ومسايرة ماينتجدد فيه من الاطوار والاحوال، ولكن بعد طول الروية والاختبار، والتنازع بين طرفي التفريط والافراط، كما يعلم من الفرق البين بين إدارتهم في مصر والسودان، وفي الهند وزنجبار، بسبب اختلاف حال كل من القطرين الزوجين المتقابلين في العلم والجهل والقرب والبعد من قوة الرأي العام، وكما ظهر أخيراً من التفاوت في تصرفهم وسياستهم في القطرين العربيين المتجاورين : فلسطين وشرق الاردن من جهة والعراق من جهة أخرى بسبب التفاوت بين حاليهما في القوة والضعف، ففي العراق مئات من الالوف الشاكي السلاح، وألوف كثيرة من الضباط العلماء بفنون القتال، وقد أضرموا نار ثورة قتل فيها عشرات الالوف من الرجال، وأنفق فيها الملايين من المال، ومن ورائهم زعماء سياسيون يعرفون كيف يطالبون بالحرية والاستقلال، وقد قربوا منهما، ولن يرضوا بما دونهما.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأما أهل شرق الاردن فقد سيموا من الخسف والاستعباد، مالا نظير له في بلد من البلاد، إذ باعهم أميرهم الملك الانكليز بيعاً سياسياً بعقد معاهدة لا يطيق ذلها أحد، ولا يقيم على خسفها إلا عير الحي والوتد. فاكتفى أذكاهم فهما، وأقواهم عزما، باسترحام الامير لتعديل بعض مواد العقد، وتخفيف وطأة ما فيه من أحكام الرق، وهم قادرون الآن على تمزيق ذلك الصك، ونبذ ما انتحله عاقده من حق الملك، وهي قدرة لا تدوم لهم، إذا طال امد هذا الحكم عليهم

وأما أهل فلسطين، فقد انحصر همهم في مقاومة الوطن القومي للصهيونيين، ومطالبة الانكليز بنظام حكم نيابي يساوي بينهم وبين غرباء اليهود المعتدين، ونرى الانكليز لا يسمعون لهم شكوى، ولا ينصفونهم في دعوى، بل يحابون اليهود وينصرونهم عليهم، ويمهدون لهم انتزاع رقبة أرضهم من ايديهم، والاستيلاء على مرافقها ومنافعها، والاستئثار معهم بمصالح حكومتها، وغرضهم الباطن من ذلك تفريق الوحدة العربية في قلب بلادها، وايجاد أعداء للعرب من غير الانكليز يشغلونهم بهم عن عداوتهم، ويعلقون أمل الفريقين ببقاء حكمهم عليهم.

وأما سببه الظاهر فهو أن اليهود أقوى من العرب اهل البلاد مالا واتحاداً ونفوذاً ماديا ومعنويا في انكلترة وسائر أوربة وفي الولايات المتحدة الامريكية وغيرها ـ لا الوفاء بما يسمى وعد بلفور والابرام لعهده، فكم من وعد أخلفوه، وكم من عهد نكثوه؟ ـ كوعودهم لمصر ومعاهدة السودان معها ـ ولقد وعدوا العرب بما عاهدوا عليه الملك حسيناً من قبل أن يعدوا اليهود، وكان وعدهم له باستقلال جميع البلاد العربية بحدودها الطبيعية الشاملة لجزيرة العرب والعراق وفلسطين وسورية ومنها كليكية صريحاً جلياً مع استثناء لعدن وتحفظ في سواحل سورية الشمالية (لبنان) والبصرة. وان للعرب لقوة في بلادهم أعظم من قوة اليهود ولكنهم كانوا يجهلون قدرها، وإقامة البرهان المقنع للانكليز عليها، وهي قوة الوحدة، فيالهم من الكثرة، وسنبين قيمتها في الفصل الثالث من هذا المقال

فالانكليز كغيرهم من اهل أوربة لا يعرفون حقا إلا للقوي، ولا يفون بوعد ولا عهد الا للقوي، ولا يعدلون في حكم الا مع المتساوين في القوة أو الضعف، فان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تنازع الاقوياء مع الضعفاء كانوا مع الاولين على الآخرين، بل أقول انهم لا يحترمون ولا يخافون ولا يرجون الا القوة، ولا يستحيون من وصف الشرقيين عامة والعرب خاصة بهذه الصفة، ولعمري انها عامة في البشر، ولكنها في الغربيين أقوى واظهر، وأعم وأشمل، لاستحواذ الافكار المادية عليهم، وانحلال عرى الملكات الادبية من قلوبهم، حتى ان أحد كتاب فرنسة طعن في الجيوش المغربية الاسلامية التي استبسلت في الدفاع عن وطنه وقومه بأن الدافع لهم الى ذلك حب الشهرة بالشجاعة والنجدة، لا الاخلاص لدولته في الطاعة والمحبة، فالاوربيون يحتقرون الشرقيين ويسخرون منهم، كلما رأوا أثراً من آثار السلطة الادبية في أعمالهم

ولقد شهد فيلسوف الانكليز ومفخرهم بل شيخ فلاسفة أوربة كلها في علوم الاخلاق والاجتماع بأن الافكار المادية التي ظهرت أولا في الشعب اللاتيني فأفسدت اخلاقه قد دب دبيبها الى الشعب الانكليزي فطفقت تفتك بأخلاقه، فهي تعدو في سيرها فيه المرطى، وتنهزم من طريقها الفضيلة فترجع القهقرى. وقال ان هذه الافكار المادية لاتزال تعمل عملها في أوربة الى ان تسوق دولهم الى حرب ساحقة ليعلم أيها الاقوى ليسود العالم، وقد وقعت هذه الحرب من بعده، وكان فتكها بأخلاق الشعوب وفضائلها، أضعاف فتكها بجحافل جيوشها وفصائلها، وصياصيها ومعاقلها، وأساطيلها الحربية والتجارية. بل سرت عدوى هذا الفساد، الى جميع الامم في سائر البلاد

كان لكل من انكلترة وفرنسة اسم سمي ومقام علي في العالم بما نبغ في بلادهما من العلماء والادباء والشعراء والمخترعين والفنيين، وبما كانتا تبثان من الدعاية لأنفسهما في برقيات شركاتهما وصحفهما وكتبهما، وألسنة من يتربى ويتعلم في مدارسهما، وكذا ألسنة من يستميلون ويصطنعون في البلاد المختلفة وأقلامهم، وقد كان من الافراط والغلو في هذه الدعاية في مدة الحرب على طولها ما أعقب رد الفعل على مدى أطول وسوء تأثير أعرض وأعمق

كانوا يذيعون في كل يوم ان الدولة الالمانية دولة عسكرية قاسية القلب،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فظة الطبع ، مسرفة في الطمع والجشع ، والضراوة بسفك الدماء ، والنهم بسلب الاموال ، وأنها لا تبغي من هذه الحرب إلا استعباد البشر ، والاستبداد في حكم الامم

وأما هم فلا يبغون من قتالها إلا الدفاع عن أنفسهم وعن اخوانهم في الانسانية ، ووقايتهم من الخطر الذي يتهدد حريتهم ، واستقلال جميع الشعوب كبيرها وصغيرها ، قويها وضعيفها ، لان الحرية القومية كالحرية الشخصية حق طبيعي عام للبشر ، فان ظفروا كانت العاقبة سعادة جميع البشر ، وإن خسروا حاق الشقاء بجميع البشر !! وقد كان القدح المعلى في تصميم هذه الدعاية للدولة البريطانية ، وكان ممن خدع بها دولة الولايات المتحدة ، وكان أول مخدوع رئيس حكومتها الدكتور ولسن ذو النزعة الدينية ، والعاطفة الانسانية الادبية ، فانبرى لمساعدتهم ، وانما كان النصر الاخير لهم بمساعدته المادية ، وبما وضعه للصلح من القواعد (الاربع عشرة) السياسية الادبية ، وكان أول من خدع بهذه القواعد الاشتراكيون والعمال من الالمان ومنهم بحارة الاسطول ، فأكرهوا دولتهم على طلب الصلح ، حتى إذا ما قضي الامر ، قلب الحلفاء للرئيس ولسن ودولته ولجميع البشر ظهر المجن ، وظهر من طمعهم وقسوتهم وضراوتهم وجشعهم ونهمهم أضعاف ما كان من قبل

أخلفوا الوعود ، ونقضوا العهود ، وكان جزاء العرب من الانضواء اليهم ، والخروج معهم على دولتهم العثمانية طلباً لاستقلالهم ، أن عاملتهم انكلترة وفرنسة شراً مما عاملت به جميع أعدائها من استعباد واستبداد ، وسفك دماء وسلب أموال ، حتى انهم كانوا يدمرون القرية الآمنة المطمئنة من البلاد التي كانت تحارب دولتها تحت رايتهم على من فيها من رجل ونساء وأطفال لتهمة واهية لم تقرن ببحث ولا تحقيق ، وحتى انهم سابوا من مملكة الحجاز سكة الحديد الاسلامية التي جعلها الشريف حسين تحت تصرفهم في الحرب ، وكان جيشه يدمر بديناميتهم جسورها ويقلع حديدها في ارض الحجاز نفسها ، معتقداً انها تبقى بأموال الانكليز بعد الحرب وتكون له هي والبلاد المنشأة فيها !! فلا غرو أن يزول كل ما كان لهاتين الدولتين من حرمة ومكانة ادبية في الشرق ، وان يعتقد شعوبه انهم شر البشر على البشر ، وانه لا حرية ولا حرمة ولا حياة للانسانية إلا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بنقض غزلهم ، ونكث فتلهم ، بل بتقليص ظلهم الاستعماري من الوجود ، وهذا ما افادت الحرب شعوب الشرق في مقابلة ماخسروا بها

كان سبب نجاح الانكليز في الاستعمار الذي استولوا به على مايقرب من ربع البشر انهم لم يكونوا يدخلون قطراً إلا بدعوى قصد الخير له ولأهله، تارة لانقاذ الشعب من ظلم أمرائه وحكامه ، وتارة لحفظ عروش اولئك الامراء من الثورات والفتن والفوضى ، كما كان سبب نجاحهم في السياسة انهم لم يكونوا ينقضون عهداً أو يتنصون من عقاله إلا بضرب من التأويل يظهرون فيه انهم على حق ، كما قال أعظم ساسة اوربة في القرن التاسع عشر البرنس بسمارك وزير ألمانية ومؤسس وحدتها للسنيور كريسبي وزير ايطالية في حديث لهما في تسيير سياسة اوربة : وماذا نفعل بانكلترة ؟ قال كريسبي نقيدها بمعاهدة . قل بسمارك ولكن الانكليز ابرع الناس في التفصي من عقل المعاهدات بالتأويل ... ونقول نحن انهم انما يحتاجون الى التأويل مع الدول القوية وأما الشعوب الضعيفة كالعرب فلا يحتاجون معهم إلى تأويل . على انهم سموا استعباد البلاد العربية التي وعدوها الاستقلال انتدابا يراد به المساعدة على النهوض باعباء الاستقلال بعد زمن غير طويل !!

لكن هذا الظلم والاستبداد الذي ابتدعوه في فلسطين شيء غريب في تاريخهم وتاريخ الاستعمار والاستعباد ، لم يخلق مثله في البلاد . وهو لا يتفق في صورة من الصور ولا معنى من المعاني التي وضع لها لفظ الانتداب

هو خلق شعب جديد يجتلب من أوشاب أوطان كثيرة في مشارق الارض ومغاربها إلى وطن شعب آخر ليزعه منه ويحل محله فيه ، وتمكينه من ذلك بالظلم والمحاباة اللذين لم يعهد لهما نظير في تاريخ البشر ، وان فيما نشر من انباء هذا الظلم والمحاباة في هاتين السنتين ولا سيما اثناء الثورة الفلسطينية ماعجب منه واستغربه جميع الناس في جميع أقطار الارض

فلئن كان هذا من غرائب ظلم الانكليز فأغرب منه قدرة اليهود على توريطهم فيه ، وإصرارهم عليه بعد ظهور فضيحتهم ، وهتك سريرتهم ، ولهذا يخاف اليهود أن لا يدوم هذا الاصرار ، وان يكره الشعب الانكليزي حكومته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على إنصاف العرب والاعتراف بحقوقهم في يوم من الايام . وهذا ماجرأهم على محاولة انتزاع هذا الوطن من العرب بالمناجزة ،دون ما ألفوه هم والانكليز من نيل مآربهم بالمطاولة ، فأوقدوا نار الثورة الحاضرة ، ظانين انه يمكنهم اقناع الشعب البريطاني وسائر شعوب المدنية من وضع تبعته على العرب بالدعاية الكاذبة، فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، وظهر للشعب الانكليزي ولغيره ما لم يكونوا يعرفون ، وكانت هذه الفتنة نصراً من الله للعرب والمسلمين ، إذ نبهت شعوبهما كلها الى التعاون على حفظ حقوقهما الوطنية والدينية في فلسطين

وجملة القول في الانكليز انهم لا يزالون أقرب إلى العقل والفضيلة من غيرهم ، وبذلك يمكن الاستعانة بشعبهم على حكومتهم . وقد كان اليهود أقدر من العرب على ذلك الى ان أحبطت الثورة التي أثاروها عملهم، وعلمت العرب كيف يظهرون لهحقهم. ثم وجد في هذا الشعب من بحث حتى عرف حق العرب واعترف به في بعض جرائده الكبرى وأخذ يقيم الحجج على ما للدولة من المصلحة في اتباعه . ثم على العرب دون غيرهم اقناعها بالقول والعمل، بما في مودتهم من النفع وبما في عداوتهم من الضرر بل الخطر ، وانهم لفاعلون ان شاء الله تعالى

(٣)

ماضي العرب وحضارتهم

(١) العرب أعرق الامم في التاريخ ذكراً ، وأرسخهم في الحضارة قدماً ، فقد ثبت عند المحققين من علماء التاريخ والآثار واللغات، الذين يستمدون علومهم من العاديات ، ان قدماء المصريين والكلدانيين والفينقيين كانوا من جزيرة العرب ، وهم مؤسسو أقدم الحضارات، وأن شريعة حمورابي التي عثر عليها منقبو الآثار في العراق من الألمان عربية ، وهي أقدم الشرائع التامة المدونة ، وكان معاصراً لابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وابراهيم من أنباط العرب القحطانيين، وجد العرب العدنانيين ، اخوة العبرانيين ، فبنو اسرائيل فرع من الارومة العربية السامية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ذلك أصل الحضارة القديمة التي استمد منها اليونان فالرومان مدنيتهم، وأما الحضارة الحديثة فواضعو أساس علومها وفنونها هم العرب العدنانيون في العهد الاسلامي كما يشهد لهم بذلك الحكماء والمؤرخون المنصفون من علماء الافرنج على ما بينهم وبين الدول الاوربية ودعاة الدين من التنازع والتخاصم

ولا ننكر أن العرب استمدوا من كتب اليونان والفرس والهنود الذين كانت حضاراتهم قد درست وعفت رسومها ودفنت كتبها في ارماس خزائن الملوك والبيوتات، فنبشوا تلك القبور، وأحيوا تلك الرمم، وصححوا واستدركوا، وزادوا واستنبطوا، وقرنوا العلم بالعمل، واستقلوا في ذلك حتى صار لهم فن مستقل خاص بهم، ووضعوا من العلوم ما لم يكن لغيرهم، وكان ذلك كله في وقت قريب خارق للعادة، فقد حقق حكيم الاجتماع الفرنسي الاكبر الدكتور (غوستاف لوبون) في كتابه [تطور الامم] ان ملكة الفنون لا تحصل في الامم إلا في ثلاثة أجيال: جيل المقلدين وجيل المخضرمين وجيل المستقلين، قال: وشذ العرب وحدهم فاستحكمت لهم ملكتها في جيل واحد صار لهم فيه فنون خاصة بهم. وفي كتابه (حضارة العرب) الذي صنفه قبل هذا الكتاب بعشرات السنين تفصيل لهذه الشهادة والدلائل عليها والرسوم الممثلة لها، وقد صرح فيه وفي غيره ولا يزال يصرح بأن العرب أساتذة أوربة في مدنيتها الحاضرة

أنبياء العرب وملوكهم

(٢) قد كان في العرب انبياء مرسلون، وكان فيهم ملوك استشاريون مقيدون، كملكة سبأ التي قالت لرجال الدولة (افتوني في امري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) وكان الدين هو المرشد الاول إلى الحضارة فيهم وفي جميع الامم، وأكثر ما بقي من آثار فنون الأقدمين وصناعاتهم عليه الصبغة الدينية الباعثة عليه كاهرام مصر وبرابيها ونواويسها، وكذلك شرائعهم وآدابهم، وإنما كانت تغلب البدع الوثنية على عقائد الدين الصحيحة وأحكامه التي يجمعها الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، ومن أهم أركان العمل الصالح العدل والصدق والامانة كما ان أعظم أركان الايمان التوحيد، وفي آثارهم المنقوشة ومخلفاتهم الباقية ما يدل على جميع ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وممن حفظ لنا القرآن ذكرهم من أنبياء العرب هود وصالح وشعيب وهو موسى الكليم ومؤويه مدة فراره من فرعون ، واختلف العلماء في نبوة تبع، وذي القرنين أعظم ملوك الحضارة والفنون والسياحة في الارض ولقمان الحكيم ، وحسب العرب ان منهم محمداً رسول الله وخاتم النبيين ، وهو الذي أكمل الله به الدين ، وأتم نعمته ورحمته على العالمين (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

منهج الاسلام والعرب في اصلاح شأن البشر

(٣) ان منهج الاسلام في رفع شأن البشر هو ان إصلاح الانفس بالعقائد الصحيحة الداحضة للاوهام والخرافات ، والاعمال الصالحة الصادة عن الفواحش والمنكرات ، والاحكام العادلة المساوية بين الناس في الحقوق والمعاملات ، مقدم على الترقي في العلوم والفنون والصناعات

وهذا المنهج هو الذي سار عليه العرب المسلمون في أنفسهم وفي غيرهم في أثناء الفتوحات ، وقد شهد لهم به المؤرخ الصادق ، والاجتماعي المنصف (غوستاف لوبون) بكلمة تشبه كلمات بلغائهم في ايجازها وسعة معانيها وهي قوله « ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب » ويؤيد هذه الشهادة العقل كالنقل ، فانه لولا فضائلهم ورأسها العدل والرحمة ، لما أمكنهم أن يثلوا عرش كسرى وقيصر في الشرق في أقصر مدة ، وكانت حكوماتهما أرقى حكومات الارض قوة وحضارة وثروة ونظاما ، وإنما ثل العرشين التليدين الراسخين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بسيوف الصحابة (رض) في الربع الاول من القرن الاول للهجرة ، ثم امتدت الفتوحات في الشرق والغرب ، وقبل أن يتم القرن حاصروا الروم في القسطنطينية وفتحوا كاشغر من ممالك الصين ودخلوا أرضها من أقصى الشرق ، وفتحوا افريقية ومراكش والأندلس من أقصى الغرب ، فلولا عدلهم وفضلهم ، وتفضيل جميع الشعوب إياهم على حكامهم ، لما أمكنهم ذلك مع البعد الشاسع عن وطنهم ، ومهد سلطانهم في جزيرة العرب ، بل كانت تلك الفضائل هي السبب في دخول الناس من جميع الشعوب في دين الله أفواجا طائعين مختارين ، وتبع ذلك تعلمهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اللغة العربية لغة هذا الدين وشريعته وناشريه بمحض الرغبة، لا بدعاية الجمعيات ولا بإلزام الحكومة او نفوذها (كما يفعل الافرنج في هذا العصر)

المانع من استيلاء العرب على العالم كله

(٤) لقد كان مقتضى هذا الاصلاح الاسلامي العربي أن يعم الارض، ويملك أهله من العرب سائر ممالك الشرق والغرب، ولكن حال دون ذلك تعارض المانع والمقتضي، أما المقتضي فقد عرَّفناه إجمالا بما تقدم. وأما المانع الذي حال دونه فهو (على قاعدة تقابل العدم بالملكة) عدم الاستقامة على ذلك المنهج الاصلاحي الذي شرعه الاسلام وسار عليه الرسول وخلفاؤه الراشدون، وكان أول من سن الخروج عنه معاوية بن أبي سفيان، ببغيه على أمير المؤمنين علي عليه السلام والرضوان، ثم باكراهه الناس على بيعة ولده الفاسق يزيد، واحتكار السلطان لبني أمية، فهدم بذلك الحكم الاسلامي الشوروي المبني على أساس سلطة الامة، وأقامه على الاساس الوراثي المبني على تغلب القوة، فما زالت القوة تعمل عملها حتى سلبتهم هذا الملك المغصوب، وتغلغل نفوذ أعاجم الفرس في الدولة العباسية، ثم قضى عليها معج الشعوب التركية، فتفرقت السلطة، وتمزقت الوحدة، وزلزلت العدالة، وزالت الخلافة

من ثم قال أحد علماء الألمان المتعصبين لجنسيتهم انه ينبغي لنا أن نقيم لمعاوية تمثالا من الذهب في أعظم ساحة من عاصمتنا (برلين) وينبغي مثل ذلك لجميع شعوب أوربة. إذ لولاه لكانت هذه الشعوب كلها عربية تدين بالاسلام. وبين ذلك بنحو ماقلناه آنفا. ولكن قال أحد أحرار فرنسة مامعناه: لقد كان من سوء حظ أمتنا ان كان أكثر الجيش الذي فتح به العرب القسم الجنوبي من بلادنا من بربر افريقية الذين لم يتمكن الاصلاح الاسلامي من أنفسهم فكانوا ينقضون العهود ويرتدون على الكنائس وغيرها، حتى أثاروا العصبية والنخوة في أنفسنا، وراجت دعوة الاستنفار العام لقتالهم وإخراجهم من ديارنا، ولو كان أكثرهم من العرب الذين عرفنا سيرتهم العادلة في الشرق والاندلس لما وقع من ذلك العدوان شيء، ولما راجت الدعوة إلى قتالهم وإخراجهم، وإذاً لسبقنا أوربة في الحضارة بضعة قرون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إسقاط حرمة الخلافة وإضاعتها

(٥) كان إسقاط حرمة الخلافة أولا بقتل الخليفة الثالث ثم بالخروج على الرابع، من مقدمات سقوط وحدة السلطة العربية التي انتهت بتعدد السلاطين ودول الطوائف، وكان اتساع دائرة الفتوحات في الشرق والغرب وصعوبة المواصلات مما يتعذر معه وحدة السلطة بدون خضوع ديني لمقام الخلافة يملك على النفس وجدانها وعملها، فيحول بذلك دون الخروج على الحكومة والاستبداد دونها، ولئن رتق بنو أمية ما فتقوا بتمكنهم من جمع الكلمة، وتوحيد السلطة، وتوجيه المسلمين إلى الجهاد في الكفار، وفتح الامصار، وحمد لهم الجمهور هذا على كراهته لفسوق أكثرهم، فلقد كان رتقهم له بالعصبية مع الاسراف في الترف والتفريط في العلم واتقوى رتقاً واهياً، ولمقام الخلافة منافياً، ولذلك كان أمده قريباً

قضى بنو العباس على بني أمية بقوة العصبية التي ابتدعوها، ثم قضوا بها على خلافة النبوة التي تقلدوها، واعتمدوا فيها على الاعاجم فكانت بذلك شراً مما قبلها، وإنما امتاز أوائلهم بالعلم، فبلغ الذروة في عهد المأمون، كما كان لهم مزيد حرمة عند الامة بقرابة الرسول ﷺ ولكن شانَ علم المأمون نصره للبدعة، وما كان ينبغي للخليفة أن يتعدى حدود قطعيات الكتاب والسنة، ويضطهد حرية الاجتهاد في العلم والدين، بنصر فريق على فريق من الباحثين، فالملك يجب أن يكون كما يقول ساسة هذا العصر بمعزل عن المذاهب والاحزاب، ثم ما زال يضعف العلم، ويتضاءل نفوذ النسب، وتتفرق قوى العرب، وتحل محلها عصبية العجم، حتى صار الخليفة شبحاً من أشباح اللعب، يزين بالحرير والذهب، ويستنطق بما لا يريد أو بما لا يفهم، ويوقع على ما لا يقرأ أو على ما لا يعلم، ويتحرك بتحريك البطانة والحاشية والحرس، وإنما يعظم تعظيما صوريا، ويمكن من اللذات البدنية مادام مواتياً فان نبا أو أبى قتلوه ونصبوا شبحاً آخر مكانه، لا يرى وسيلة لاستدامة اللذة والفخفخة والزينة، إلا التجرد من الامر والنهي والرأي والارادة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سعي الفرس لاسقاط ملك العرب

(٦) بدأ زنادقة الفرس بالسعي لهدم ملك العرب لاستعادة دولتهم الفارسية وملتهم المجوسية، من طريق الدسائس الدينية والسياسية، وإحياء العصبية الشعوبية، وتوسلوا إلى ذلك بتفريق الكلمة من طريق التشيع لأئمة البيت من آل علي وفاطمة عليهم السلام، فشعر بذلك آل العباس (رض) فنجحوا باستمالة دعاية الثورة والقوة، وبقيت للعلويين دعايتا الالوهية والعصمة، وقد فطن الخليفة العباسي الاول لخطر زعامة الثورة في الدولة، فقطع رأسها من أول وهلة، فسعى ساسة الفرس لها من طريق الثروة وإدارة الحكومة، فاحتكروا موارد الاموال، واصطنعوا الرجال، وتم هذا الامر للبرامكة منهم في عهد الرشيد أو كاد، ولكنه فطن لذلك فبطش بالبرامكة تلك البطشة الكبرى، بيد أن قوة الترك الجندية الوحشية، قد قدرت على ما عجزت عنه سياسة الفرس الدينية والادبية، فانما أثمرت دسائس شيعتهم الباطنية في افريقية دون بلادهم وما يقرب منها، فكانت الدولة التي أسسوها بمصر - هي الفاطمية أو العبيدية - عربية محضة باقتضاء موقعها، ولم تستطع التغلب على الدولة العباسية بتعميم دعايتها. وأما الذين سلبوا ملك العرب وقوضوا هيكل حضارة العرب فهم الترك، وكان الجاني الاكبر في إدخالهم في الدولة والاعتماد على جندهم في حفظ سلطان الخلافة هو المعتصم الجاهل بالسنة والناصر للبدعة، وأنى له أن يفهم مغزى قول الرسول ﷺ «اتركوا الترك ما تركوكم» او يحذر ويتقي مضمون قوله ﷺ «اول من يسلب امتي ملكهم وماخولهم الله بنو قنطوراء» يعني الترك

سلب الترك لملك العرب

(٧) مهد التتار السبيل لبني عمهم الترك باجتياح سلطنة الخلافة العباسية العربية بالتقتيل والتدمير والتبتير، وكان الفرس قد سبقوا الى إضعافها بالتفريق والتدبير، أفرطوا في تقديس الخلفاء العباسيين وتفخيمهم بالالقاب والزينة والاحتفالات الرسمية، ولكنهم فرطوا في طاعتهم، وأزالوا ما كان من حصر وحدة الرياسة فيهم، ففرقوا السلطة، واستبدوا بالدولة، وغلبوا الخليفة على أمره، وافتاتوا عليه في حكمه، حتى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تجرؤا على قتله ،فوهت قوة الوحدة ، وكثر السلاطين في الدولة ، ووقف سير العلم والحضارة ، لان العلم كان عربياً وكان المرشد اليه القرآن العربي ، وكان العرب هم الذين أحيوا منه ما أماته الزمان ، وجددوا ما أخلقته صروف الحدثان، وجاراهم فيه مواليهم وتلاميذهم من الفرس والسريان، وكانت الحضارة عربية بالتبع للعلوم والفنون العربية . وكان الترك أبعد شعوب البشر عن العلم والحضارة ،وانما عندهم من آلة الملك الحرب والعصبية ، فكانت دولتهم دولة حرب وفتح،لا دولة علم وفن

وكان أكبر سيئات الترك العثمانيين إيثار لغتهم الهمجية ،على اللغة العربية، لغة الدين والعلم والادب والحضارة . وتحريهم إضعاف الامة العربية واستذلالها لئلا يعود اليها حقها في الخلافة الاسلامية وحكم المسلمين ، فان الله تعالى بعث رسوله محمداً خاتم النبيين في الامة العربية ،وأنزل عليه كتابه المعجز للبشر باللغة العربية ، فجعل هدايته لهم عربية وحكمهم به عربياً فقال (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) ولذلك انتهت عداوة دولتهم للغته بعداوتها له . وهؤلاء خلفاؤهم الكماليون يعدون التكلم بالعربية والتعلم للعربية وكتابة التركية نفسها بالحروف العربية من أكبر الجرائم السياسية التي يعاقب قانونهم مجترحها ، فلاغرو أن يقول رسول الله النبي العربي فيما يعد من دلائل نبوته بخبر الغيب «أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء » وهو يدل بالاشارة أو فحوى العبارة إن لم يكن بنصها على أن سالبي ملك أمته لا يعدون منها ، وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ان المراد هنا بالامة أمة الجنس لا أمة الدين .ونحن لا نطعن في إسلام الشعب التركي نفسه،وانما نطعن في جهل دولته وعصبيتها، التي انتهت بضعف دينها ودنياها ، ثم بما يشكو منه كل مسلم منهم ومن غيرهم من تبذخلفها لكتاب الله وشرعه ظهريا

استقلال العرب وحالهم بعد الحرب

(٨) تغلب الترك العثمانيون على الدولة العباسية في الشرق ، وخذلوا الدولة الاموية في الغرب (إذ استنصرت بهم على الاسبانيين فلم تنصرهم) واستولوا على مهد الحضارة العربية في العراق وسورية ومصر ، فأضعفوا الحضارة والعلم في هذه البلاد ولكنهم لم يستطيعوا إماتة اللغة العربية فيها ، ولا الاداله للغة التركية منها ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ودان لهم أمراء الحجاز ولكنهم ظلوا أصحاب السيادة والنفوذ فيه وحاولوا بعد ذلك كله قهر عرب الجزيرة وإخضاعهم لحكمهم فظلوا يقاتلونهم عليها أربعة قرون ونيف، فنقصوها من أطرافها، واستولوا على ثغورها البحرية، ولكنهم عجزوا عن قهر أئمة اليمن وأمراء نجد وإخضاعهم لحكمهم، فالعرب الصرحاء الخلص ظلوا في عقر جزيرتهم مستقلين في حكم أنفسهم، لم يقهرهم الترك عليها، بل ظلوا يدافعونهم عنها وينتصرون عليهم فيها، حتى إذا مزقت الحرب الاخيرة سلطنتهم الواسعة، ظهرت جزيرة العرب في الوجود مستقلة تامة الاستقلال سالمة من كل نفوذ أو امتياز للدول الاجنبية فيها، إلا ثغر عدن الذي اغتصبته الدولة البريطانية في القرن الماضي والقاطعات التسع اليمنية التي تدعي حمايتها ولا تتدخل في أمر حكوماتها - والا ما كان وهبه الملك علي بن حسين من أرض مملكة الحجاز لامارة شرق الاردن وهو ثغر العقبة المشرع على البحر الاحمر والمنطقة الممتدة منه إلى معان اهم المحطات لسكة الحديد الحجازية. فكل من هذا وذاك موضع نزاع بين الانكليز والدولتين العربيتين المستقلتين في جزيرة العرب: مملكة اليمن الامامية ومملكة الحجاز ونجد الملكية، وقد اعترفت الدولة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لهذه الدولة دون تلك، وعقدت معها معاهدة على قاعدة المساواة، ولكن بقيت منطقة العقبة ومعان موقوفة لتحل عقدتها بالمفاوضة السياسية، وأما الاعتراف باستقلال اليمن فقد تعددت فيه المراسلات والمفاوضات بين الدولتين البريطانية واليمانية، ولابد ان تنتهي قريباً برجوع الاولى عن كل حق تدعيه فيما عدا منطقة عدن، فانه يستحيل تركها إياها لليمن.

حال الممالك العربية اليوم

(٩) ذلك شأن مهد الامة العربية ومنبت أرومتها، ومعقل قوتها، لم يغلبها عليه كلها أحد، فهي لا تزال فيه عزيزة النفس، قوية البأس، مرفوعة الرأس، وأما ما يتصل به من مواطن حضارتها وعمرانها، وعواصم خلافتها وسلطانها، وهي مصر وسورية والعراق فقد احتل اكثره الانكليز وبعضه الفرنسيس قبل الحرب وبعدها، وجعلوا حكوماتها العربية تحت سيطرتهم العسكرية بدعوى مساعدتها على اصلاح شؤونها، إلى أن تقوى على النهوض بأعباء استقلالها المعترف لها به بنفسها، ولا تزال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه الشعوب العربية تنازع هاتين الدولتين في دعواهما ما تسميانه حق الاحتلال والانتداب، ولا بد من وصولها الى حقها في الاستقلال المطلق في يوم من الايام،

(ولا ننسى الممالك العربية الافريقية الاربع فهي لا بد من استقلالها أيضاً فان استعباد الامم الكبيرة بالقهر العسكري لن يدوم اذا هي عرفت نفسها وحال العالم وسنن الاجتماع فيه ولكن كلامنا الآن ليس فيها)

استحالة ظهور اليهود على العرب

(١٠) علم مما تقدم ان الأمة العربية أقوى وأعز وأفضل من الشعب اليهودي ماضياً وحالا، ونرجى منه استقبالا، فهي لا تزال ذات ملك وسلطان، وممالك وأوطان، ولغة حية، وشرع نافذ وعادل فان كانت ثروة اليهود النقدية أكبر، فان ثروة العرب الطبيعية أعظم، ألا وهي ثروة الارض التي هي أصل كل ثروة بأقواتها ومعادنها، وهم يملكون عشرات الالوف والاميال منها. وإن كان اليهود أقدر على تسخير القوة البريطانية بدهائهم ومكرهم وأموالهم، فالعرب أقدر على ابطال كيدهم هذا بكثرتهم، اذا هم جمعوا كلمتهم، وبنفوذهم في العالم الاسلامي الذي يعطف عليهم لانهم قوم نبيهم، وأرومة دينهم، وحفظة قبلتهم وعمار مساجدهم الثلاثة المقدسة: المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الاقصى. فان لم يقدروا على ذلك بالاقناع البرهاني الذي يفضلونه، فسيقدرون عليه بالدفاع الحربي الذي لا يخافونه، وقد علم زعماء الامتين، ان ما بذلناه من الدماء والاموال في سبيل الدفاع عن الدولتين، نوبذلناه في سبيل حريتها واستقلالها، لكان كافياً لها، وان تلك الملايين من رجالهم التي سخرتها الدولتان لأنفسهما في الحرب ما كان يمكنهما تسخيرها بالقوة، وانها لو ثارت عليهما في وقت ضعفهما لما فقدت في قتالهما عشر ما فقدته في قتال أعدائهما، وإذاً لخسرتا الحرب وفاز بها أعداؤهما

وقد رأوا بأعينهم، وخبروا بأنفسهم، ما كان من تأثير الثورة المصرية الصغيرة العزلاء على بريطانية العظمى بعد الحرب الظافرة هي فيها على حين كان جيشها من جميع الاسلحة يموج في أرض مصر، كما تموج أساطيلها في كل بحر، وعلموا انه لولاها لم ترفع تلك الحماية التي ضربت عليها، ولم يعترف لهم بالاستقلال المقيد فيها، ثم رأوا ثورة العراق التي فتحتها الدولة البريطانية فتحاً، وأخذتها عنوة لا صلحاً، وجعلتها تابعة للامبراطورية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الهندية، وكيف كانت سبباً لتأسيس حكومة وطنية فيها كما تقدم قريباً. ثم رأوا الثورة السورية، وما أبلت في القوى الفرنسية، على قلة الموقدين لنارها، وقلة ما أتيح من الوقود لها، وكونها كانت في دائرة ضعيفة من البلاد لم تتعد النار الى غيرها

فهل تظن هذه الطغمة من اليهود الصهيونيين انهم ينتزعون من قلب هذه الامة العزيزة قطراً من أشرف أقطارها وأعزها، بعد أن استيقظت من رقدتها، وشعرت بقيمة نفسها، وهبت لاستعادة وحدتها، على اختلاف مواطنها وعقائدها وتربيتها؟ وما كان ضعفها الماضي الا بتفرقها، وجهلها بقوتها ومكانتها، ومتى كان الغنى والثراء، والمكر والدهاء، والكيد والرياء، من الضعفاء الجبناء، يطرد الامم القوية من اوطانها، ويغلبها على ملكها وسلطانها، والحق لها، والسيف بيدها؟ وهم انما يعتمدون على قوة غيرهم، ولن يدوم لهم تسخيرهم لهم، وعلى تفرق خصومهم وقد زال، ولم يبق لاتحادهم إلا النظام وهو ان شاء الله قريب المنال

تأثير ثورة فلسطين في العرب والمسلمين

(١١) لقد كانت الثورة التي اوقد اليهود الصهيونيون نارها في فلسطين بعد تلك الثورات الموضعية على أقوى دول الارض، وبعد تلك اليقظة الشرقية العامة التي أحدثتها الحرب، وبعد خيبة آمال بعض الشعوب الشرقية، التي كانت مخدوعة ببعض الدول الغربية، آخر صيحة داعية الى وحدة الشعوب العربية، وتعاطف الشعوب الاسلامية، فقد اضطرب لها المسلمون والنصارى جميعاً في سورية ولبنان والعراق والحجاز ونجد واليمن ومصر وتونس والجزائر ومراكش، واهتز لها المهاجرون من العرب في العالم الجديد من الشمال الى الجنوب، وظهر أثر ذلك جلياً قوياً في جرائد هذه البلاد وجماعاتها بالاحتجاج والانتصار وجمع الاعانات، وهي أول حركة عربية سياسية أظهر العطف عليها ملوك العرب المستقلون، فقد أرسل صاحب الجلالة السعودية عدة كتب وبرقيات في إظهار عطفه وعطف اهل مملكته النجدية والحجازية على عرب فلسطين — على بعده واشتغاله بقمع ثورة داخلية في نجد — منها ما هو باسم سماحة زعيمها السيد أمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحسيني مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الأعلى لفلسطين، ومنها ماهو للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بمصر (وسننشر ذلك) ومنها ماهو لصاحب الجلالة البريطانية ملك الانكليز، وقد تبرع لملكي العرب في هذه الثورة بخمسمائة جنيه، وتبرع نجله ونائبه في الحجاز بمائة جنيه، وألفت بأمره لجنة لجمع الاعانات بمكة جمعت مبلغا يعد كبيراً من أهل الحجاز، وتبرع صاحب الجلالة اليمانية الامام يحيى حميد الدين بثلاثمائة جنيه. وشارك العرب في هذا الشعور والعطف على أهل فلسطين مسلمو الاعاجم ولاسيما في الهند وجاوة بالاحتجاج والاعانات بل شارك الهندوس مسلمي الهند في عطفهم هذا وتمنى الجميع لو يرسلون جيشاً منهم إلى فلسطين لحماية المسجد الاقصى وأهله من عدوان اليهود

بل هذه أول مرة صرح فيها شيخ الازهر ورئيس المعاهد الدينية في مصر بالعطف على المسلمين في أثناء ثورة سياسية بينهم وبين شعب أجنبي تؤيده الدولة البريطانية، بعد أن أجرّت السلطة المصرية ألسنة علماء الازهر وألجمتهم، وحرمت عليهم ماهو مباح لجميع المصريين من إبداء رأيهم في الامور السياسية، وقد كانوا من قبل أصحاب الرأي الأعلى والقدح المعلى في جميع المصالح الاسلامية والوطنية، حتى انهم هم الذين ولوا محمد علي باشا على مصر

ومما يصح أن يذكر بالاعجاب ان صوت الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر ورئيس المعاهد الدينية قد ارتفع في هذه المسألة في وقت خرست فيه ألسنة جميع أمراء مصر وكبرائها الاحرار حتى غير المقيدين بسياسة الحكومة ومشربها، لا الوزراء والرؤساء الرسميين وحدهم وهو من كبارهم. فهذا فتح جديد في النهضة العربية واليقظة الإسلامية معاً (وسننشر كلامه)

وقد كنت اقترحت على سلفه المرحوم الشيخ أبي الفضل الجيزاوي في أول العهد بظهور الطمع الصهيوني في المسجد الاقصى والعثور على صورة لقبة الصخرة يعلوها العلم الصهيوني أن يكتب فتوى على سؤال في ذلك تتضمن مايجب على المسلمين من استنكار ذلك ووجوب حماية المسجد الاقصى عليهم ... فاعتذر رحمه الله فألححت عليه وأكثرت من اللوم حتى غضب فقال: ياسيد رشيد أتظن انه مابقي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحد يغار على الاسلام غيرك ؟ والله اننا نغار مثلك ، ولكنك أنت مطلق ونحن مقيدون، وأنت تعلم اننا ممنوعون من كل شيء يتعلق بالسياسة ...

مستقبل العرب مع الانكليز

(١٢) اننا نرجو ان يحيط الشعب الانكليزي العاقل بما ذكرنا وذكر غيرنا من الحقائق فنجد منه عوناً على حكومته بتغيير سياسته مع الامة العربية، والجلاء عما تحتله من بلادها الحجازية واليمنية وغيرها، والاتفاق مع حكوماتها على مايضمن له مصالحه الاقتصادية ونفوذه الادبي في جميع بلادها . فوالله لو أن في الشعب الفرنسي من الروية والتدبير مثل ما في الشعب الانكليزي لأمكنه إكراه دولته على تأليف دولة سورية واحدة تقضي على نفوذ الدولة البريطانية في الامة العربية كلها ثم في سائر الشعوب الشرقية المتصلة بها

كان من آفات الظفر في هذه الحرب أن الغرور قد استحوذ على عقول الظافرين وان كان ظفرهم بقوة غيرهم لا بقوتهم، فلولا الولايات المتحدة لاستولت ألمانية على جميع ممالكهم ، وكان من آفات هذا الغرور أن الدولة البريطانية ظنت أن قوة السلاح، خيرلها من قوى التدبير والعقل والاصلاح ، وانها قد ورثت جميع السلطنة (الامبراطورية) العثمانية ، باحتلال القسطنطينية، وانها ستملك بلاد ايران والافغان بالاساطيل الجوية، كما رسخ قدمها في مصر وسائر البلاد العربية، وانه قد تم ما كانت تحلم به من امتداد امبراطوريتها من حدود برقة إلى حدود الصين من الغرب الى الشرق ، ومن الاسكندرية الى الكاب من الشمال إلى الجنوب ، فبدا لها من جميع هذه البلاد مالم تكن تحتسب ، بل بدا لها من الهند ينبوع ثروتها الثرور ، وسوق تجارتها التي لا تبور، ما لم يكن يخطر لها ولا لغيرها ببال ، إذ هب مئات الملايين فيها يطلبون الاستقلال ، وينذرون الدولة قرب الزوال، وطفق الباحثون من علمائها يبحثون في هرمها ، ويقدرون مابقي من عمرها ، على قاعدة قول الشاعر

إذا تم شيء بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن هذا كله قد كبح جماح ذلك الغرور، وتغلب حزب العمال المعتدل على حزب المحافظين المغرور، وجنح حزب الاحرار الى العمال، فمن ثم قويت الآمال، بمراعاة هذه الدولة العظيمة لمقتضى الحال، وطول بقائها في أوربة كلسان الميزان

بشارات أنبياء اليهود في المسيح والملك

(١٣) اليهود الماديون واللادينيون يتكلون على انكلترة في إعادة ملك سليمان وهيكله اليهم كما تقدم ولكن دين الانكليز وشرفهم ومصالحهم المرتبطة بأربعمائة مليون من المسلمين ومن العرب غير المسلمين أيضاً تأبى عليهم ذلك على تقدير قدرتهم عليه واليهود المتدينون يعتمدون على بشارات أنبيائهم، وهذه البشارات مبهمة ومشروطة باتباعهم لوصايا التوراة كلها وقد تركوا هذا عندما كان ممكنا وقد أصبح غير ممكن، ثم انه مقيد بمجيء المسيح وجريان ذلك على يديه، وقد جاء المسيح الحق عليه السلام فكفر أكثرهم به فأيد الله تعالى من آمن به على من كفر كما قال عز وجل في آخر سورة الصف (١٤:٦١ فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) وقد كتبنا مقالا طويلا في بيان تلك البشارات وما كان من قيودها وشروطها وما تقتضيه من حرمانهم من أرض الميعاد والملك الى الابد سننشرها في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

أنباء خاتم النبيين في أمر اليهود مع المسلمين

(١٤) ان عندنا معشر المسلمين بشارات من خاتم النبيين وواسطة عقد المرسلين محمد ﷺ أوضح وأفصح وأصرح من بشارات أنبياء اليهود كأخبار المسيح الدجال الذي يظهر فيهم فيتعصبون له ويقاتلون المسلمين والنصارى في فلسطين وغيرها فيخذلون ويغلبون على أمرهم. ومنها ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ قال «تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر يامسلم هذا يهودي ورائي فاقتله» وله روايات أبسط من هذه الرواية، فاحذروا أيها الصهيونيون المتهورون ان تعجلوا بفتح باب البلاء على أنفسكم بل احذروا وقد فتحتموه أن تصروا عليه، وارجئوه إلى مجيء مسيحكم فانا له مرجئون، وانتظروا فانا منتظرون

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السيد عبد الباسط فتح الله

﴿ وفاته وملخص ترجمته ﴾

في غرة جمادى الاولى من هذا العام رزئت مدينة بيروت بل القطر السوري بل الامة العربية والملة الاسلامية بوفاة فرد من أفرادها وبدل من أبدالها وشهيد من شهداء الحق ، وحجج الله تعالى على الخلق ، صديقنا الوفي وأخونا في الله عز وجل ، وأحد تلاميذ شيخنا الاستاذ الامام ، ومريديه في ديار الشام ، وبتربيته وإرشاده كان من أركان الاصلاح في العلم والعمل ، والاخلاق والادب ، ومن الكتاب المجيدين ، والخطباء المؤثرين الاستاذ السيد عبد الباسط فتح الله ، رحمه الله تعالى وأثابه ، وأحسن مرجعه اليه ومآبه ، ثم احسن عزاءنا وعزاء أهله ووطنه عنه ، وعظم أجرنا جميعاً بمصابنا فيه . توفاه الله تعالى عن ستين سنة هجرية كاملة ، إثر مرض طويل أعيا الاطباء ، وتعذر الشفاء ، وقد كبر مصابه على عارفي فضله فأبنوه عند دفنه ، ثم أقاموا له حفلة تأبين في اليوم الاربعين من تاريخ فقده ، تبارى فيه خطباء بيروت وشعراؤها في رثائه وذكر مناقبه نظما ونثراً

واننا نقتبس ترجمته التاريخية مما ألقاه في تلك الحفلة صديقنا وصديقه الاستاذ الشيخ احمد عمر المحمصاني الشهير ، وهو مأخوذ من ترجمته لنفسه التي نشرتها مجلة المجمع العربي في دمشق ومما عرفه المترجم بنفسه منه وعنه بطول المعاشرة في القرب ، وكثرة المكاتبة في البعد ، كنا قد كلفناه كتابة ذلك لاجل نشره في المنار ، فكتبه وألقاه في حفلة التأبين ثم أرسله الينا فلخصنا بعضه وتركنا أقله وأثبتنا أكثره بحروفه

فما ذكره المترجم ان كلا من والديه رحمهما الله تعالى « من اسر بيروت القديمة ولنسبهما صلة بأهل البيت النبوي الكريم » ومما بلغنا من صفة والده انه كان رجلا صالحا تقياً . وحدثنا الفقيد عنه ان الشيخ يوسف النبهاني الخرافي الحشوي المعروف حمله عند سفره الى الحج بعض كتبه لاجل توزيعها في المدينة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنورة فكان من امره أنه قبل وصوله إلى المدينة بليلة واحدة — على ما أذكر — رأى النبي ﷺ في منامه فأمره لا يدخل مدينته بتلك الكتب وفهم منه انه ﷺ غير راض عنها ، فألقاها أو دفنها في مكان قبل دخولها . ولما عاد من الحج جاء الشيخ النبهاني للسلام عليه في داره و كان عنده كثير من الزائرين فلما دخل عليه ودنا منه ليعانقه لم يملك لسانه ان قال له يا شيخ يوسف ان رسول الله ﷺ غير راض عنك ، فبهت النبهاني وأحجم لقوله ، واستغرب الحاضرون ذلك ووجموا لسماعه ، فذكر لهم رؤياه المذكورة . ثم قال المترجم

﴿ نشأته ﴾ ولد عام ١٢٨٨ هجرية ، وتعلم القراءة والخط وأوليات الحساب في مدرسة المرحوم الشيخ حسن البنا . ثم في سنة ١٣٠٠ دخل المدرسة السلطانية التي فتحت في بيروت فتعلم فيها العربية والتركية والافرنسية وما اليها من الفنون . وكان من أساتذته فيها استاذنا الامام المرحوم الشيخ محمد عبده وعنه اخذ علوم البيان والمنطق والتوحيد والاحكام العدلية (مجلة الاحكام الشرعية) وكانت له به عناية خاصة فقرأ له في بيته أثناء العطلة المدرسية وليالي رمضان فصولا من متن التهذيب في علم الكلام والسيرة النبوية

«ولما اضطرب نظام المدرسة بتدخل السلطة العسكرية في إدارتها برحها الاستاذ الامام فتبعه المترجم ولزم مجلسه حتى أشار عليه بدخول الكلية البطركية لاتمام ما كان حصله في المدرسة السلطانية من اللغة الافرنسية والفنون ، فدخلها عام ١٨٨٨ وحضر فيها دروس استاذ اللغة العربية الشيخ ابراهيم اليازجي ودروس غبطة الحبر العلامة البطريرك دبتربوس القاضي في الآداب الافرنسية والعلوم القديم والحكمة الطبيعية ، واكتسب من ميل هذا الحبر ورعايته ، ما لا يقل عن اهتمام الاستاذ وعنايته ، ثم خرج من هذه الكلية وقد نال شهادتها العلمية ، مع جائزة الشرف في العلوم العربية

«وكان يختلف اثناء العطلات المدرسية وفي اوقات الفراغ بعدها إلى مجالس الاستاذ المحدث الشهير الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت السابق رحمه الله ، فسمع منه مع فريق من طلبة العلم جملة صالحة من صحيح البخاري

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

[وهنا ذكر المترجم شيئاً من سيرته في حياته العملية ثم قال]

﴿ خدمته للعلم ﴾ بيد أن مشاغله الادارية والتجارية لم تكن لتمنعه مما يهوى اليه فؤاده من خدمة العلم ونشره . فقد دعاه الاستاذ الناهض المقدام الشيخ احمد عباس إلى معاونته على تأسيس مدرسته الشهيرة [بالمدرسة العثمانية] فلبى الدعوة ، ونشط للخدمة ، إذ وجد فيها متسعاً لتحقيق امانيه في الاصلاح ، وظل يتبرع بإشاطرة الاستاذ — المشار إليه — تدبير مدرسته وتنظيمها ، ويلقي فيها المحاضرات الادبية ويعطي الدروس في الجغرافية والطبيعيات والتعريب ، إلى أن قضت السياسة التورانية بإقفالها اوائل ايام الحرب

«على ان سعيه نحو غايته من بث العلم لم يكن لينحصر في سبيل تعليم البنين وتربيتهم بل كان تثقيف البنات والوفاء لهن بحقهن من العلم والتهذيب مناط همه الاكبر فبالرغم من المصاعب الجمة التي كانت تعترض الساعين في تنوير الامة (خصوصاً العربية) أيام عبد الحميد قد وفق مع طائفة من المفكرين الناهضين لتأسيس (جمعية ثمرة الاحسان) بغية تحسين حالة الانثى المسلمة وأنشؤا لها مدرسة حوت العدد الجم من البنات. ومن تلميذاتها اليوم من تدير إحدى مدارس الحكومة. واشترك كذلك مع فريق من أصحاب الشان في تأسيس (جمعية مآثر التربية) التي غايتها معاونة الطلبة المعوزين على تحصيل العلم العالي أو الاختصاص في أحد فروعه في كليات بيروت أو جامعات أوربا. ومن أبنائها من هم اليوم في عداد الاطباء ، والمحامين وأهل القضاء

«وانتخب لعضوية (جمعية المقاصد الخيرية) وما زال يدأب في خدمة مدارسها وأنظمتها على نحو خدمته للمدرسة العثمانية ومدرسة ثمرة الاحسان من قبل . كما انه قام بتدريس الديانة والتهذيب للصفوف المؤلفة من البنات المسلمات (في المدرسة السورية الاهلية)

﴿ أثر قلمه ﴾ تراه وهو في غضون تلك الاعمال السابقة يغتنم الفرصة ، ويفترص المناسبة لبث الافكار الصحيحة والمبادىء السليمة ، ويلفت الانظار إلى حقائق الامور وتعرف المصلحة العامة والاعتدال في الاخذ بالجديد والمحافظة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على القديم ، عاملا بسنة أستاذه الامام في الدعوة إلى ترك الجمود على التقليد الضار به وخلط الدين في كل شأن من شؤون الدنيا

«تلك المقاصد والموضوعات تراها منبثة في مقالاته وخطبه جارية من بيانه مجرى الدم من جثمانه. فمن غرر مقالاته المشهورة : النهضة الاقتصادية . الالفة التمدن. الصدق. التعصب . العلم روح المدنية ، والمدنية معنى الانسانية . اليسر وأضراره . ذكرى من سفر في وصف قلعة بعلبك . المداواة الحديثة. تأثير السجايا في الاعمال . لبوس الصيف والنسيج الوطني. الرقيقة امبراطوره (كتبها عن هنري امبراطورة الصين) العافية نور على هام الأصحاء لا يدركه إلا الضعفاء. غريبة في عالم الصناعات. العبادة عادة والدين العاملة . بحث في الصحافة . اللجان الخيرية. في الكستنا أو الشاه بلوط . الاسلام (مقالة رد فيها على مقال للمسيو كرلرات نشرت في جريدة الديبش كولونيال بعنوان ضد الاسلام) تصويت النساء. في شأن المرأة. في المدافعة الملية . الهرم . وصية منتحر . احتفال الجمعية الخيماوية . الحكم على الكلاب بالاعدام . (يداعب فيها البلدية) المحاميات ، عبد الله باشا فكري والهيئة الجديدة (قرظ بها رسالة عبد الله باشا فكري وزير معارف مصر في المقارنة بين الهيئة الجديدة وتطبيقها على النصوص القرآنية) ذكرى العاقل وتنبيه الغافل (قرظ بها رسالة بهذا العنوان للامير الكبير السيد عبد القادر الجزائري) مجالس الوعظ في رمضان . الظاهر المألوف من المفروش والملبوس . كلمة في بلدية بيروت . وهذه نشرت في جريدة ثمرات الفنون مع كثير من المقالات

«وله مقالة عنوانها (التجارة محور السياسة) نشرت في الثمرات عدد ١٢٨٤ أتى فيها بالعجب العجاب في بيان سر الاقتصاد عند الامم الراقية وأن التجارة هي حفاظ السعادة وقوام العمارة — إلى أن ختمها بقوله — ولو بحثت من الامور السياسية في أدقها وما قد لا يشتم منه ريح التجارة لتحققت ان التجارة سره ولبابه ، مهما اختلفت مظاهره وتلونت أثوابه ، ولأدركت أن التجارة هي غاية السلم ، غاية الحرب ، محور السياسة ، فضلا عن انها قطب رحى الحياة المدنية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«وله مقالة عنوانها (الاصلاح من طريق العلم والتهذيب) نشرت في العدد الاول من مجلة الكشاف، ومما يناسب أن يخص بالذكر في هذا المقام دلالة على شعوره الادبي ما كتبه بعيد خروجه من المدرسة في بيان حاجة العربية إلى تأسيس مجمع علمي ينقسم إلى شعب تتفرغ كل منها للعمل في سد جانب من عوز اللغة (الامر الذي لم يتم لنا إلا بعد ثلاثين سنة)

«وإذا تأملت في مقالاته فانك تجد رجلا اجتماعياً يخوض في مواضيع شتى، وهو هو بقلمه المتين وعبارته الجيدة وحجته الناصعة، فبينا تراه يكتب في موضوع اخلاقي يشبعه درساً فاذا به في مقال آخر يصف شيئاً فيقربه اليك كأنك تراه ماثلا أمامك، وتارة تجده في موضوع أدبي أو علمي أو اجتماعي أو زراعي أو تاريخي يوضح لك المحجة، ويقرع الحجة بالحجة

« وأما خطبه الممتعة فحدث عن البحر ولا حرج؛ ومن الذي لا يذكر مواقفه في المدرسة العثمانية (الكلية الاسلامية الآن) وأقواله التي تملك الآذان، بلا استئذان، مع ثبات جأش، وقوة عارضة، ومتانة في الجمل والكلمات، ورقة في الاسلوب والعبارات، والذين شهدوا خطبه في معنى السلم وفي الاخوة الدينية، وعن المدرسة الاسلامية في أول نشأتها، وفي الروايات الادبية وتأثيرها، ومحاضرته عن أبي العلاء المعري وعن التمثيل وفوائده — يعرفون المواهب التي وهبه الله إياها، ويدركون عظيم الخطب بفقد الامة له وهي في أشد الحاجة الى العاملين المخلصين المصلحين.

رحم الله منك نفس كريم وقليل من النفوس الكرام

ثم ذكر مما ترجمه بالعربية عن الفرنسية (كتاب التدريس العلمي ليول برت احد نظار المعارف الافرنسية . وكتاب فلسفة السياسة لغوستاف لوبون . وكتاب الرين ووستفاليا لجول هوره . وترجمة فصل من كتاب سر تقدم الألمان وهذه الاربعة لم يتمكن من اتمامها . وقد أتم تعريب رسالة (مسألة النساء) لارنست لوكوفي وجعل لها مقدمة جليلة جداً

«ومن أهم مميزات الفقيد : الانصاف في المناظرة والمحاورة وهذا عمل المتانين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعرفه له مخالطوه ومعاشروه ، كما انه من أكبر الادلة على المتانة والرسوخ في العلم، ومن أجل المواهب التي يؤتاها النابغون ، ولا يوجد بعد العلم حلية لأهل العلم مثل الانصاف فيه (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم)

«ومن أعظم مميزاته اعتناؤه الكلي بالتنظيم في الاعمال التي أدارها وبالاخص فيما يتعلق بالعلم والتعليم وما دخل في مصلحة الا وكان له فيها الاثر الخالد

«وقد ظهرت هذه الميزة في رآسته لنادي رأس بيروت فقد وضع نظامه واحكم اساسه وتولى بنفسه إلقاء المحاضرات الممتعة والمواضيع النافعة مع بعض اخوانه ، ولو قدر لهذا النادي البقاء لكان من مفاخر بيروت الجميلة ومن أهم الاندية في البلاد ولكن مداهمة الحرب العامة ذهبت بكل ما كان ينتظر من هذا النادي الجليل في الاصلاح المطلوب

«إن الفقيد بسيرته هذه وعلمه الجم ، وعمله الخالص الاتم ، كان حجة الله على كثير ممن عرف العلوم العصرية واللغات الاجنبية ولم يكسب أمته من علمه ومعرفته شيئاً يرقيها ويفيدها بنقل او تعريب ، او دفاع عن حوزتها وكيانها وعما يتهمها به الاعداء من الطعن في معتقداتها او الحط من مفاخر اسلافها

«وحجة الله أيضاً على كثير ممن تذوقوا العلم فوقفوا عند القشور، واشتغلوا بسفاسف الامور، ولم ينفذوا إلى اللباب، فأضاعوا أنفسهم وأمتهم وضاعوا عن الصواب

«حياة كلها علم وعمل ، وجهاد وأمل ، ودعوة إلى الحق ، وثبات وصدق ، وصبر واحتمال ، وسير حثيث إلى الكمال ، مع انصاف في المناظرة ، وأنس في المحاورة ، ووقوف عند الحدود الشرعية ، ودعاء إلى السنة السنية ، ونفور من البدع ، لا تأخذه في الحق لومة لائم

«فهذه آثار ناطقة بسمو مداركه وعلو مكانته، في أي بحث طرقه ، أو أي موضع تناوله كان ابن بجدته فقد جمع ما تفرق في غيره » اهـ

هذا واني أختم هذه الترجمة بالتنويه بمقال كتبه لنا باقتراح ناعن سيرة الاستاذ الامام في بيروت لينشر في الجزء الاول من تاريخناله، فرحمهما الله تعالى وحشرنا وإياهما مع (الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أنباء العالم الإسلامي

فريضة الحج

﴿ ودعاية ملاحدة السياسة الشريفية لتركها بفتاوى يفترونها ﴾

لما ولى الله إمام السنة الملك عبد العزيز بن سعود أمر حرمه وحرم رسوله لم يجد أعداؤه وسيلة للحيلولة بين العالم الاسلامي وبين رؤية عدله وإقامته لشرع الله وإحيائه لسنة رسوله ﷺ إلا دعوتهم إلى ترك فريضة الحج وهدم هذا الركن العام من أركان الاسلام انتقاماً منه لهدمه هياكل الوثنية التي بنيت على قبور آل البيت والصالحين برغم السنة النبوية

ومن المعلوم من دين الاسلام بالضرورة ان الله فرض الحج بنص كتابه المحكم على من استطاع اليه سبيلا وقال عقب ذلك (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) فمن استحل تركه بغير فقد هذا الشرط « الاستطاعة » فهو كافر خارج من دين الاسلام. ولذلك لم تؤثر تلك الدعاية إلا في بعض الجاهلين ، والحجاج يزدادون عاماً بعد عام وينشرون فضل ابن السعود في العالم

وقد علمنا في هذه الايام ان دعاة بيت الملك المفقود من الحجاز جددوا هذه الدعاية نفسها وأرسلوا الكتب من مصر إلى جاوة وسنغافورة وعدن واليمن والهند وسائر الاقطار الاسلامية التي لهم معارف فيها يحثونهم على صد الناس عن الحج بدعوى ان ملك ابن سعود في الحجاز وفي نجد أيضاً على وشك السقوط بانتصار بعض الخارجين عليه في نجد بقيادة ابن الدويش ، ويستندون في هذه الدعوى على ماينشرون في جرائد مصر من الاراجيف ، ولكنهم من جهة أخرى يشيعون أن الدويش هذا متفق مع أولاد الملك حسين والانكليز على ثل عرش ابن سعود ليعيدوا الحجاز إلى الملك حسين أو نجله علي ، فان كانوا واثقين بهذا وبقربه وقوعه فالمعقول أن يدعوا الناس إلى الاقبال على الحج لا على تركه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد ورد عليَّ اليوم كتاب من بعض المسلمين القيورين على دينهم في عدن ذكروا فيه ان دعاة هدم ركن الاسلام العام عادوا إلى الدعاية الاولى بتفنن جديد في الكذب فقد جاء فيه بعد رسم المخاطبة :

« لا يخفاكم يا سيدي انه جاء أخيراً إلى هذه البلدة فرقة من الناس أذلهم الله وأصابهم بداء البغض لجلالة الملك عبدالعزيز آل السعود أيده الله، ولا عمل لهم إلا التجول في الاسواق وثلب هذا الملك الجليل الوافر العرض . وكنا لا نلتفت إليهم ولا نأبه بما يقولون حتى ابتدؤا ينشرون الفتاوى بأن الحج لا يجب في هذه الايام بسبب وجود الحكومة النجدية في البلدان المقدسة

« وأخيراً أظهروا للناس أنهم كاتبوكم وأقنعوكم بالادلة وأجبروكم على الموافقة على فتواهم هذه

« أما نحن فاننا أخبر بهم ونعلم انه لا يرضى بقولهم إلا مخبل، ولكن خشينا على عامتنا أن يسري إليهم هذا الداء أي داء بغض العرب الناشيء عن بغض مليكها الجليل

« فبادرنا بكتابة هذه الاسطر اليكم راجين منكم جواباً تخدمون به الدين والدولة . ونرجو أن يكون ردكم على صفحات الشورى الغراء لانها أشهر الجرائد هنا وتطلع عليها أكثر أهالي هذه البلدة. وفي الختام اقبلوا فائق الاحترام» اه

(الجواب) كنت أود لو أرسل إليَّ هؤلاء القيورون نسخة من الفتوى التي أشاروا إليها لنرى على أي قاعدة من قواعد الجهل والكفر استحل هؤلاء المساكين ،هدم هذا الركن الاسلامي الركين ، وأي نص من نصوص الكتاب والسنة أو من اجتهاد الأئمة أوردوا في فتواهم استدلالا على أن وجود الحكومة السعودية في الحجاز مسقط لفريضة الحج عن المستطيع خلافاً لنص كتاب الله تعالى ؟ إذ لا يبعد أن تدل الفتوى على أن فرض استقبال الكعبة المشرفة في الصلاة قد سقط عن المصلين بوجود هذه الحكومة هنالك وولايتها على بيت الله تعالى ! فان الجهل ليس له حد يقف عنده

يسهل علينا أن نقنع كل مسلم وإن كان عامياً جاهلا بضلالة هؤلاء الداعين لهم إلى هدم بعض أركان دينهم اتباعاً لأهواء السياسة والملك ، إذ لا يجهل أحد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منهم أن الحج من أركان الاسلام المفروضة على كل مستطيع له، وكتاب الله وكتب السنة الصحيحة موجودة بين أيديهم فكذبهم عليها مفضوح، وإذا كان كذبهم علينا ظاهراً أنكره العقلاء بدلالة عقولهم وها نحن أولاء نظهره لغيرهم على صفحات هذه الجريدة وغيرها — فكيف بكذبهم على الله ورسوله وأئمة المسلمين ؟

وأما الذي يصعب إظهار كذبهم وافترائهم فيه فهو ما يرجفون به في تعظيم أمر ثورة الدويش في نجد على ملكه وإمامه، وبيان أن ما يتوقعونه من الشر ويفرحون به ليس خيراً لهم بل هو شر لهم ولغيرهم، ولماذا يصعب إظهار افترائهم فيه ؟ لانهم يدعون أن ما يقوله كل أحد غيرهم كذب، وان ما يقولونه هم هو الحق والصدق وحده، فليس علينا إلا أن ننتظر قليلا كما انتظرنا كثيراً في حادثة حصر الامام ابن سعود لجدة والمدينة المنورة وما كانوا يذيعونه من أخبار ضعفه وقرب طرده من الحجاز، فظهر كذبهم وإرجافهم للعالمين، والعاقبة للمتقين

(علاوة) هذا ما كتبناه في اليوم الذي وصلت الينا فيه رسالة عدن ونشرناه في جريدة الشورى إجابة لطلبهم، وقد كتبنا في الجزء الماضي مقالة مستقلة في فتنة نجد: أسبابها ونتيجتها وأهمها الدسائس الشريفية . ومن توفيق الله تعالى لابن السعود حماقة أعدائه وجهل دعاتهم التي تنتهي دائما بظهور خذلان الله تعالى لهم (أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون)

(استدراك على التفسير)

﴿ نص التصحيح الذي اشرنا اليه في آخر ص ٤١٨ من هذا الجزء ﴾

(المبحث الثالث) وهو لغوي محض أن لفظ أخ أصله أخوٌ ومثناه أخوان وفي لغة أخان. ويجمع على اخوة واخوان بكسر الهمزة فيهما، وكل منهما يستعمل في أخوة النسب القريب أي الاخوة من أحد الابوين أو كليهما والنسب البعيد كالجنس والقبيلة وفي اخوة الرضاع وأخوة الدين وأخوة الصداقة، وقد لطقت هذه الآية باستعمال لفظ الاخوان في أخوة الدين ومثلها في الموالي (فاخوانكم في الدين) وجاء في اخوة الكفر (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) الخ وأما استعمال جمع إخوة في أخوة الدين ففيه قوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة) وسائر استعماله في اخوة النسب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اصلاح الازهر والمعاهد الدينية

استبشر طلاب الاصلاح الاسلامي في مصر وجناحيها من الشرق والغرب بما ظهر من الشيخ محمد مصطفى المراغي منذ ولي أمر الازهر من فكر ثاقب، وعقل راجح، وعلم واسع، وهمة عالية، وشجاعة أدبية، ظاهرة، وما انتجت هذه المزايا من قانون للاصلاح مبين لأقوم مناهجه، وأرفع معارجه، وأبعد مقاصده، وما بذل من جهد، وأنفق من وقت، في السعي لاقرار الحكومة إياه، وصدور المرسوم الملكي بتنفيذه. ثم راعهم في آخر يوم أو آخر ساعة من هذه المرحلة ان علموا أن الاستاذ الاكبر قد استقال من منصبه، لان جلالة الملك توقف عن إصدار المرسوم به، فوجمت النفوس، وضاقت الصدور، وأكبر الناس الاستاذ المراغي في استقالته، وعدم مبالاته بجاه المنصب الرفيع وما يتقاضاه من ألوف الجنيهات فيه، أضعاف ما أكبروه فيما أشرنا اليه من مزاياه، إذ به ثبت لهم أن الرجل قد وقف حياته على خدمة دينه وان بذل في سبيله دنياه، وعلى رفعة شأن ملته وأمته، لا على منفعة نفسه وأهله وولده، وان نفسه الزكية نسخة من نفس شيخه الاستاذ الامام، وانه لابد للمسلمين ان يستفيدوا من مواهبه في يوم من الايام. وقد نوهت بذلك الجرائد وعدوا استقالته إحدى الكبر، والنذر والعبر

ويظن الكثيرون ان لدسائس خصوم الاصلاح تأثيراً في الصد عنه اليوم كدأبهم بالامس، ولكننا نعلم ان ذلك القانون الاصلاحي هو رغبة جلالة الملك فلا قنوط بما عرض دونه ولا يأس، وقد عادت الحياة الدستورية إلى البلاد، ولن ترضى الامة أن يظل الازهر على ما انتهى اليه أمره من اضطراب

ولما أصر الاستاذ المراغي على استقالته بعد مراجعة أولي الشأن له في الرجوع عنها صدرت إرادة جلالة الملك بجعل صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ أحمد الظواهري شيخاً للازهر ورئيساً للمعاهد الدينية، وهو من تلاميذ الإستاذ الامام أيضاً فلا يخفى عليه شيء من حاجة الازهر الى الاصلاح، ولكنه يؤثر التريث فيما يراه منه ومداراة المعارضين فيه. ونسأل الله تعالى أن يوفقه ويوفق ولاة الامور الى ما فيه الخير للمسلمين، واغتنام الفرص قبل فواتها آمين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ كتب التاريخ المصرية في مصر وسورية ﴾

كنا من أول العهد بهجرتنا إلى مصر منذ ثلث قرن نعجب لتقصير المصريين في تأليف كتب لتاريخ هذا القطر وغيره على الطريقة العلمية الحديثة التي درسوها وعرفوا فلسفتها ومناهجها وأساليبها ، ثم زال العجب فرأينا القوم ينسلون للتأليف في أنواع هذا التأريخ من كل حدب . وقد قرظنا في العام الماضي كتاب ﴿حوليات مصر السياسية﴾ لصاحب السعادة صديقنا احمد شفيق باشا، ثم صدر في هذه الايام ﴿ الحولية الثالثة﴾ من هذه الحوليات ، وهي تدخل في المجلد السادس من تاريخه الكبير اذ كانت الاولى والثانية في الجزأين ٤و٥ وهما لحوادث سنتي ١٩٢٤ و١٩٢٥ فالثالثة لحوادث ١٩٢٦ وثمن هذا الجزء ثلاثون قرشاً يضاف اليها أجرة التجليد والبريد لمن طلبه من الخارج وهو يباع في مكتبة المنار

﴿ تواريخ سعادة أمين سامي باشا ﴾

امين سامي باشا عالم نحرير ، ومؤرخ محقق ، ومهذب متدين ، ولعله فاق جميع علماء فن التربية والتعليم عندنا في الجمع بين العلم به والعمل . وقد خدم وزارة المعارف عشرات السنين خدمة جليلة من أهمها نظارة مدرسة دار العلوم التي يتخرج فيها معلمو الدين والفنون العربية في جميع المدارس الاميرية ، فكانت التربية في عهده ، خيراً مما آلت اليه من بعده، على ما كان من مراقبة الانكليز للمدارس التي كان من مقاصدها الخفية إطفاء نور الاسلام ، والوقوف بالعلم عند حدود التقليد ومظاهر النظام. ولعله لو ظل ناظراً لها إلى اليوم لما تفرنج طلابها في الازياء، ولما تزعوا العمائم وتركوا الصلاة ـ لا أقول كلهم، بل أكثرهم أو كثير منهم

وقد أخرج للناس في شيخوخته كتابين جليلين لم يسبقه إلى مثلهما سابق ، وهيهات أن يدركه في موضوعهما لاحق

﴿ الاول : كتاب التعليم في مصر ﴾ وهو كتاب جامع لما يهم العلماء والخواص معرفته من أحوال التعليم في مصر في العصور الاولى بالاجمال وفي هذا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العصر بالتفصيل . وقد وضع فيه لحالة المدارس في أيامنا احصاء دقيقاً في جداول متنوعة يرى المطلع عليها عدد المشتغلين بالتعليم ونسبتهم إلى الالف على مقدار انتشار التعليم في كل محافظة او مديرية بالنسبة إلى سكانها . وعلى نسبة المصريين والمصريات الذين في مدارس الاجانب ونسبة الاجانب الذين في المدارس المصرية ونسبة المحرومين من التعليم الى المتعلمين من بالغي سن التعليم الاولي والابتدائي إلى غير ذلك من البيانات المفيدة التي تظهر من الجداول الاحصائية الموضوعة بدقة لا يعادلها إلا الحذق في استخراج النتائج منها . وفيه بيان مناهج التعليم كلها ولوائح الشهادات والدبلومات من وقت تقريرها الى الآن ، ويزدان بعشرات من الصور لولاة الامور ووزراء المعارف وأعضاء البعثات التي أرسلتها الحكومة الى أوربة. فهو كتاب لا نظير له ، ولا غنى عنه ، وهو مطبوع في المطبعة الاميرية على ورق جيد من القطع الكامل ومجلد بالقماش تجليداً حسناً وثمنه جنيه مصري

﴿ الثاني : كتاب تقويم النيل وعصر محمد علي باشا ﴾ وهو جزآن : الاول منه مؤلف من مقدمة في ١٣٤ صفحة ماعدا الخرائط تضمنت كل الحقائق المتعلقة بأمر النيل وفيها رسوم (خرائط) ملونة تمثل حركات الرياح وضغط الجو وبحيرة تسانا ومخارج الانهر التي تسبب الفيضان ووقوع الامطار ، ويلي المقدمة المقصد الاول من الكتاب وهو تقاويم النيل من ابتداء السنة الاولى من الهجرة الى سنة ٩٢٢ هـ ٦٢٢ م – ١٦١٦ م ويليه المقصد الثاني وهو الفوائد التاريخية الصحيحة وسلسلة تاريخ مصر على التفصيل وتاريخ الخلافة الاسلامية على الوجه العام في ذلك الزمن كله وصفحاته ٢٥١ وهو كسابقه طبعاً وقطعاً وتجليداً وثمنه جنيه مصري

﴿ الجزء الثاني منه ﴾ وهو يشتمل على ما علم من أمر النيل في كل سنة ابتداء من سنة ٩٢٣ هـ لغاية سنة ١٢٦٤ هـ ١٥١٧ م الى ١٨٤٨ م وصحفه حافلة بالفوائد التاريخية المحققة الدقيقة الصحيحة في ذلك الزمن وبالاخص عصر محمد علي باشا الذي أنقذت مصر في عهده من وهدة الانحطاط التركي وارتقت مرتبة عالية من مراتب الرقي

وهو مزدان باحدى وخمسين صورة من صور محمد علي باشا وصور رجال عصره النادرة مع نهاية الاتقان والوضوح وصحفه ٦٢٢ صفحة وطبعه كسابقه من كل وجه وثمنه ١٥٠ قرشاً وتطلب هذه الكتب كلها من مكتبة المنار في شارع الانشاء بمصر